الحسد والعين
في ضوء السُّنَّة النبوية

د. السيد محمد السيد نوح (باحث رئيس) *
د. وليد محمد الكندري (باحث مشارك) **

مقدمة :

بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسَّلام على رسول الله ، محمد ﷺ ، وعلى آله وأصحابه ، والسالكين سبيله ، والداعين بدعوته ، إلى يوم الدين .

وبعد .

فمعلوم أنَّ طُرقَ المعرفة لما في عالم الغيب والشهادة تتمثَّل في السَّماع والنقل ، كما تتمثل في العقل والحواس ، كلٌّ في مجاله الذي يعمل فيه ويكشفه .

ويخطئ الإنسان كثيراً ، ويَضلُّ طريقه ، بل ويُضلُّ غيره ـ عن قصد أو غير قصد ـ حين يضع أيّاً من الطرق التي أسلفنا في غير مجَاله ، وبعيداً عن ميدانه .

والحَسَدُ ، والعينُ من القضايا التي عُرفت عن طريق السَّماع والنقل ، وجاء الواقع فأيَّد هذا السماع والنقل ، بَيْدَ أنه غفل نفرٌ من الناس ـ أو تغافلوا ـ عن هذه

* أستاذ مساعد ـ قسم التفسير والحديث ـ كلية الشريعة ـ جامعة الكويت
** مدرس ـ قسم التفسير والحديث ـ كلية الشريعة ـ جامعة الكويت .

الحقيقة ، وحاولوا الوصول إلى الحسد والعين عن طريق العقل ، فلم يصلوا ، وعندئذ لم يكن منهم إلا الإنكار الشديد ، والرفض التَّام .

وحتى الذين صدَّقوا السّماع والنقل ـ فأثبتوا الحسد والعين ـ غاب عن بالهم كيفية التأثير وحجمه ، كما غاب عن بالهم الأسباب المؤدية إلى الحسد والعين ، وطريقة العلاج ، بل الوقاية .

ولما غاب عن بالهم هذان الأمران ـ أعني كيفية وحجم التأثير ، وكذلك الأسباب والعلاج – خافوا الحسد والعين ، واعتراهم الضعف والانهزام النفسي ، بصورة حملتهم على التشاؤم ، والانزواء من طريق الناس ، بل وقطيعتهم .

وكلا الموقفين غير سديد ، وله آثاره الضَّارة ، وعواقبه المهلكة التي نسمع ونشاهد كثيراً منها على الساحة الإسلامية ، والأمر ـ إذن ـ يقتضي وضع الحقِّ في نصابه ، وتجلية الأمر من منبعه الأصيل ، وفي ضوء فقه علمائنا لما جاء في هذا المنبع عن الحسد والعين .

ولما كانت السّنة النبوية قد حفلت بما جاء به القرآن حول الحسد والعين ، وزادتْ عليه مسائل أخرى ، تتعلق بكيفية حجم التأثير ، وبالأسباب ، وبالآثار ، وبطريقة العلاج ، الوقاية ، وسبل التعامل مع الحاسد ، والعائن ، رؤي أن تكون هذه الدراسة مستقاة من السنة النبوية رأساً ، وما جاء عن غيرها ، فعلى سبيل التَّبعية ، وكان العنوان :

«الحسد ، والعين في ضوء السُّنَّة النبوية»

ولسهولة تناول الموضوع تمت معالجته على هذا النحو :

الفصل الأول : «حول ماهية الحسد والعين ، وعلاقة كلٍّ منهما بالآخر» وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : ماهية الحسد لغةً وشرعاً .
المبحث الثاني : ماهية العين لغةً وشرعاً .
المبحث الثالث : علاقة كل من الحسد والعين بالآخر .

الفصل الثاني : «حول حقيقة الحسد بين الإنكار والإثبات في ضوء السنة النبوية» ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : المنكرون للحسد والعين وأدلتهم .
المبحث الثاني : المثبتون للحسد والعين وأدلتهم .
المبحث الثالث : تقييم أقوال المنكرين والمثبتين للحسد والعين .
المبحث الرابع : الحسد في الدراسات النفسية المعاصرة .

الفصل الثالث : «حول حُكم الحسد والعين ، والحاسد والعائن في ضوء السنة النبوية» ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : حُكم الحسد و العين في ضوء السنة النبوية .
المبحث الثاني : حكم الحاسد والعائن في ضوء السُّنة النبوية .

الفصل الرابع : «حول أسباب وبواعث الحسد والعين في ضوء السُنّة النبوية» .

الفصل الخامس : «حول آثار الحسد والعين في ضوء السّنة النبوية» ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : آثار الحسد والعين على الحاسد والعائن .
المبحث الثاني : آثار الحسد والعين على المحسود والمعيون .

الفصل السادس : «حول الوقاية والعلاج من الحسد والعين في ضوء السُنة النبوية» وفيه مبحثان :

المبحث الأول : طريق الوقاية من الحسد والعين في ضوء السُنّة النبوية .
المبحث الثاني :طريق العلاج من الحسد والعين في ضوء السُنة النبوية .

الخاتمة في : نتائج الدراسة ، ثم مقترحات وتوصيات .

جريدة المراجع .

الفهرس .

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الفصل الأول

حول ماهية الحسد والعين . . وعلاقة كل منهما بالآخر

يحسن أن نقدم بين يَدْيَ الحديث عن الحسد والعين ـ من حيث إثباتهما ، وتأثيرهما ، وأثرهما ، وأسبابهما ، وطريق الوقاية والعلاج ـ فصلاً «حول ماهية الحسد والعين ، وعلاقة كل منهما بالآخر» ، وذلك من خلال هذه المباحث :

المبحث الأول

حول ماهية الحسد . . وعلاقته بالغبطة والتنافس

الحسد لغةً : الحسد في أصل وضعه اللغوي : القشر ، نقول : حسد الشجرة قشر عنها لحاءها ، ومعلوم أن الشجرة إذا قشر عنها لحاؤها يبست ، ونقول : حَسَدَه ، يحسُدُه ، ويَحْسَدُه حَسَداً ، وحُسُوداً : قشرهُ ، وتحاسد القوم ، ورجل حاسد منْ قوم حُسَّد ، وحُسَّاد ، وحَسَدَه مثل حامل وحَمَلة ، وحسودٌ منْ قوم حُسُدٍ ، والأنثى بغير هاء ، وهم يتحاسدون : يحسد بعضهم بعضا [١] .

وحكى الأزهري عن ابن الأعرابي قوله : «الحسدل : القُراد ، ومنه أخذ الحسد : يقشر القلب ، كما تقشر القُرادُ الجلد فتمتص دَمَه» [٢] .

الحسد شرعاً : وللحسد شرعاً عدة تعاريف يمكن حصرها في خمسة :

التعريف الأول : وهو لأبي الحسن الماوردي الفقيه الأديب السياسي المفسِّر المعروف ، المتوفى عام ٤٥٠ هـ ، إذ يقول :

«إنّه - أي الحسد - في الظّاهر : شدة الأسى على الخير أن يكون للنّاس الأفاضل» [٣] .

(١ ، ٢) انظر : لسان العرب لابن منظور ، ٢/ ٨٦٨ ، مادة : «حسد» ، ٥/ ٣٢٠٨ مادة : «غَبَطَ» ، وتاج العروس شرح القاموس للزبيدي ٢/ ٣٣٦ .

(٣) انظر : تسهيل النظر وتعجيل الظَّفَر في أخلاق المَلِك ، وسياسة المُلْك ص ١١٩-١٢٠ .

ويقول في موضع آخر :

«وحقيقة الحسد : شدَّة الأسى على الخيرات تكون للناس الأفاضل» (١) .

وعبارة الماوردي واحدة في الموضعين تقريباً ومؤداها أن الحسد : حزن ، أو حسرة شديدة ، تصيب القلب عند رؤية النعمة في أيدي أهلها من ذوي الصَّلاح والفضل ، وهو لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي ت ١٠٩٤ هـ أذ يقول : «والحسد : اختلاف القلب على الناس ، لكثرة الأموال والأملاك» (٢) .

التعريف الثاني : وهو لأحمد بن عبدالحليم المعروف بابن تيمية ت ٧٢٨ هـ ، إذ يقول : «والتحقيق أن الحسد : هو البُغض والكراهة لما يراه من حُسن حال المحسود» (٣) .

التعريف الثالث : وهو لأبي عبدالله الحسين بن حسن المعروف بالحليمي ت ٤٠٣ هـ ، إذ يقول : «والحسد : الاغتمام بالنعمة ، يراها الأخ لأخيه المسلم ، والتمنّي بزوالها عنه» (٤) .

التعريف الرابع : وهو لأبي حامد الغزالي ت ٥٠٥هـ ، إذ يقول : «الحسد حدُّه : كراهة النعمة ، وحبُّ زوالها عن المُنعَم عليه» (٥) .

التعريف الخامس : وهو للأكثرين من العلماء ، ومنهم الشريف بن علي الجرجاني إذ يقول :

«الحسد : تمنّي زوال نعمة المحسود إلى الحاسد» (٦) .

والإمام محيي الدين النووي ت ٦٧٦ هـ ، إذ يقول :

---

(١) انظر : أدب الدنيا والدين ص ٢٤٥ .
(٢) انظر : الكليات ص ٤٠٨ .
(٣) انظر : مجموع الفتاوى الكبرى ١/ ١١٢ .
(٤) انظر : المنهاج في شُعب الإيمان : الباب الثالث والأربعون من شُعب الإيمان : الحث على ترك الغل والحسد ٣/ ١٠٣ .
(٥) انظر : إحياء علوم الدين للغزالي : كتاب ذم الغضب والحقد والحسد : باب بيان حقيقة الحسد ـ ٣/ ٢٧٧ .
(٦) انظر : التعريفات ص ٨٧ حرف الحاء .

«والحسد : تمنّي زوال النعمة» (١) .

والحافظ أحمد بن علي المعروف بابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ ، إذ يقول : «الحسد : «تمنّي الشخص زوال النعمة عن مستحقٍّ لها ، أعم من أن يسعى في ذلك ، أولا» (٢) .

وأبو البقاء الكفوي إذ يقول :

«والحسد : إرادة زوال نعمة الغير» (٣) .

وبنظرة خاطفة في هذه التعاريف الخمسة يظهر :

أن الأول منها : عرَّف الحسد بذكر أهم أسبابه ، وهو : تغير القلب ، وحزنه ، وحسرته ، لما يرى من حسن حال المحسود .

وأن الثاني : عرِّف الحسد كذلك بذكر سببه إجمالاً ، وهو : البُغض والكراهية .

وأن الثالث : عرَّف الحسد بذكر أهم آثاره ، وهو : الغم يصيب القلب ، ويذكر حقيقته ، وهو تمنّي زوال النعمة عن الغير .

وأن الرابع : عرَّف الحسد بذكر سببه إجمالاً ، وهو : البغض والكراهية ، ويذكر حقيقته ، وهو : تمنّي زوال النعمة عن الغير .

وأن الخامس عرَّف الحسد بذكر حقيقته ، وهو : تمنّي زوال النعمة عن الغير . غير أن منها : ما شرط لصحته أن تزول النعمة عن الحاسد إلى المحسود ، وهو تعريف الجرجاني ، وليس بلازم ، فإنه يصح بزوال النعمة إلى غير الحاسد ، ومنها ما شرط : أن تزول عن مستحق لها ، وهو الحافظ ابن حجر

---

(١) انظر : المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٥/ ٤٢٣، ٤٢٦ .
(٢) انظر : فتح الباري ١٠/ ٤٨٢ .
(٣) انظر : الكليات ص ٦٧٢ .

العسقلاني ، وكأنّه نظر إلى الحسد العرفي المذموم في لسان الشرع ، إذ لو تمنّى زوالها عن غير مستحق لها ـ مثل كافر ، أو عاص يُفسد بها في الأرض ، فيُهلك الحرث والنَّسْل ـ لم يكن آثماً ، كما سيأتي في بيانها ، ومنها : ما أطلق وهو الإمام النووي ، ليبقى التعريف عاماً ، مستوعباً لكل الصور : المذموم منها ، وغير المذموم ، القبيح منها ، والأقبح ، ولا تعارض بين ماقاله الإمام النووي ، وما قاله الحافظ ابن حجر ، إذ ما قاله الإمام النووي يصدق على الحسد شرعاً ، وما قاله الحافظ ابن حجر يصدق على الحسد عرفاً ، وينبغي الوقوف عند المعنى الشرعي ، لا عند المعنى العُرفي ، لأنه محور الحديث هنا .

وعليه فإن الحسد شرعاً هو : تمنّي زوال نعمة الغير مطلقاً ، أعم من أي يكون صاحب هذه النعمة مستحقاً أو غير مستحق لها ، وأعم من أن تؤول إلى الحاسد ، أو إلى غير الحاسد ، وأعم من أن يسعى الحاسد في إزالتها أو لا يسعى ، وأعم من أن يكون السعي بالتفكير والتخيُّل ، أو بالنظر والعين ، أو بالملامسة ، أو بغيرها من الوسائل .

ويدل لصحّة ما قلنا : أن ابن حجر نفسه اعتمد على هذا التعريف في موطن آخر من كتابه فتح الباري ، إذ يقول في كتاب العلم ١/ ١٦٦ : «الحسد تمنّي زوال النّعمة عن المنعم عليه ، وخصَّه بعضهم بأن يتمنّى ذلك لنفسه ، والحقُّ أنه أعم» ، ويبقى تمييز ما يبيحه الشارع منه ومايذمه رهن الدليل ، كما سيأتي .

الغبطة لغة :

يطلق أصل هذه المادة ، وهو الغين ، والباء ، والطاء «غبط» على ثلاثة معانٍ هي :

١- **دوام الشيء ولزومه** ، يقال : أغبطتْ عليه الحمَّى ، أي دامتْ ، وأغبطْتُ الرَّحلَ على ظهر البعير : إذا أدمته عليه ، ولم تحطَّه عنه ، ولذلك سُمِّي الرَّحْل

غبيطاً ،ومن هذا جاءت الغبطة بمعنى حسن الحال ، ودوام المسرَّة .

٢- **الجس والاطمئنان** ، يُقال : غَبطتُ الشَّاةَ إذا جسستَها بيدك ، تنظر بها سمَنٌ . ومنْ هذا الباب : الغبيط : أرض مطمئنة ، كأنها غبطتْ : أي جُسَّتْ حتى اطمأنَّت .

٣- **نوع من الحسد** ، يُقال : إنه غير مذموم ، لأنَّه لا يتعدَّى أن يكون تمنياً لمثل نعمة الغير ، دون إرادة زوالها عنه (١) .

ولا تعارض بين هذه المعاني الثلاثة ، إذ الغبطة نوع من الحسد المحمود ، يقوم على تحسس نعمة الغير ، والاطمئنان إلى أنَّه يحسن أن يكون له مثل هذه النعمة ، على أن تدوم هذه النعمة لصاحبها ، ولا تزول عنه .

الغبطة شرعاً :

والغبطة شرعاً : في ضوء ما قدمنا في المعنى اللُّغوي - عرَّفها الحليمي بقوله : «والغابط : مَنْ يتمنَّى أن يكون له من الخير مثل ما لغيره (٢) .

والجرجاني بقوله : «الغبطة : عبارة عن تمنِّي حصول النعمة لك ، كما كان حاصلاً لغيرك ، منْ غير تمنِّي زوالها عنه» (٣) .

وابن حجر بقوله : «ومعنى الغبطة : تمنِّي المرء أن يكون له نظير ما للآخر من غير أن يزول عنه» (٤) .

ومعناها جميعاً متقارب .

وقد جاء هذا المعنى بعينه في بعض روايات حديث :

---

(١) انظر : معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٤/ ٤١٠ ، ٤١١ ، ولسان العرب ٥/ ٣٢٠٨ - ٣٢١٠ مادة : «غبط» بتصرف .

(٢) انظر : المنهاج في شعب الإيمان ٣/ ١٠٣ .

(٣) انظر : التعريفات ص ١٦١ .

(٤) انظر : فتح الباري ١/ ١٦٦ .

«لا حسد إلا في اثنتين . .» إذ يُبيِّن النبي ﷺ ذلك بقوله :

« . . . رجل علَّمه الله القرآن ، فهو يتلوه آناء الليل ، وآناء النهار ، فسمعه جارٌ له فقال : ليتني أُوتيتُ مثل ما أُوتي فلان ، فعملتُ مثل ما يعملُ ، ورجلٌ آتاه الله مالاً ، فهو يُهلكه في الحقِّ ، فقال رجل : ليتني أُوتيتُ مثل ما أُوتِي فلان ، فعملتُ مثل ما يعمل» (١) .

التنافس لغة :

يأتي التنافس لغة على معان ، منها :

١- محبة الشيء ، والرَّغبة فيه ، وأصله من الشيء النفيس في نوعه ، يقال :

---

(١) وهذه الرواية أخرجها البخاري في : كتاب فضائل القرآن باب اغتباط صاحب القرآن ٦/ ٢٣٦ ، وكتاب التمنِّي : باب تمنِّي القرآن والعلم ٩/ ١٠٤ ، وكتاب التوحيد : باب قول النبي ﷺ «رجل آتاه الله القرآن . . .» ٩/ ١٨٨ - ١٨٩ والنسائي في : السنن الكبرى : كتاب فضائل القرآن : باب اغتباط صاحب القرآن ٥/ ٢٧ رقم ٨٠٧٣ وكتاب العلم : باب الاغتباط في العلم ٣/ ٤٢٦ رقم ٥٨٤١ وأحمد في : ٢/ ٤٧٩ ، غير أن رواية النسائي التي في : كتاب العلم تؤمئ : أنها غير محفوظة ، لاقتصارها على خَصْلَة فقط ،إذ لفظها : «لا تحاسد إلا في اثنتين : رجل أتاه الله القرآن ، وهو يتلوه في آناء الليل وآناء النهار ، فيقول : لو أُوتيت مثل ما أُوتي هذا ، لفعلتُ كما يفعل هذا ، ورجل آتاه الله علماً» وهذا ينافي رواية النسائي نفسه التي في كتاب فضائل القرآن .
وللحديث رواية أخصر من هذه عن ابن مسعود ، أخرجها البخاري : كتاب العلم : باب الاغتباط في العلم والحكمة ١/ ٢٨ وكتاب الزَّكاة : باب : إنفاق المال في حقه ٢/ ١٣٤ ، وكتاب الأحكام : باب أجرمَنْ قضى بالحكمة ، لقوله تعالى : ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾ ٩/ ٧٨ ، وكتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة : باب ما جاء في اجتهاد القضاة بما أنزل الله تعالى . . . . ٩/ ١٢٦ ، ومسلم : كتاب صلاة المسافرين وقصرها : باب فضل مَنْ يقوم بالقرآن ويعلمه ١/ ٥٥٩ ، رقم ٨١٦ (٢٦٨) ، والنسائي في : السنن الكبرى : كتاب العلم : باب الاغتباط في العلم ٣/ ٤٢٦ رقم ٥٨٤٠ (١) وأحمد في : المسند ١/ ٣٨٥ عن يحيى القطان ، , ١/ ٤٣٢ من حديث ابن مسعود قال رسول الله ﷺ : «لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلَّطه على هلكته في الحقُ ، ورجلٌ آتاه الله الحكمة ، فهو يقضي بها ، ويُعلِّمها» .
وللحديث رواية ثالثة عن ابن عمر بلفظ يماثل رواية ابن مسعود ، أخرجها البخاري في : كتاب التوحيد : باب قول النبيِّ ﷺ : «رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار» ٩/ ١٨٩ ، ومسلم في : كتاب صلاة المسافرين وقصرها : باب فضل مَنْ يقوم بالقرآن ١/ ٥٥٨ - ٥٥٩ رقم ٨١٥ ، ٨١٦ (٢٦٦ ، ٢٦٧) والترمذي : كتاب البرِّ والصلة : باب ما جاء في الحسد ٤/ ٢٩١ رقم ١٩٣٦ ، والنسائي في : السنن الكبرى : كتاب فضائل القرآن : باب اغتباط صاحب القرآن ٥/ ٢٧ رقم ٨٠٧٢ (١) ، وابن ماجه : كتاب الزهد : باب الحسد ٢/ ١٤٠٨ رقم ٤٢٠٩ وأحمد في : ٢/ ٨-٩ من حديث ابن عمر - مرفوعاً ، وقال الترمذي : «حسن صحيح» ، والبخاري أيضاً في : كتاب فضائل القرآن : باب اغتباط صاحب القرآن ٦/ ٢٣٦ ، وأحمد : عن عبدالرازق ، عن معمر ٢/ ٣٦ عن ابن عمر - مرفوعاً .
هذا ورواية البخاري موضع الشاهد ـ هنا ـ هي في : كتاب فضائل القرآن : باب اغتباط صاحب القرآن ٩/ ٧٣ ، رقم ٥٠٢٦ ، وكتاب التمنِّي : باب تمنِّي القرآن والعلم ١٣/ ٢٢٠ رقم ٧٢٣٢ ، وكتاب التوحيد : باب قول النبي ﷺ : «رجل آتاه الله القرآن . . .» ١٣/ ٥٠٢ رقم ٧٥٢٨ ، من حديث أبي هريرة مرفوعاً به : «فتح الباري» .

نافَستُ في الشيء منافسةً ، ونِفَاسا ، ونَفُسَ الشيء بالضمِّ نفاسةً ، صار مرغوباً فيه محبوباً .

٢- الضنُّ بالشيء ، أو البخل به ، يقال : نَفِسْتُ عليه الشيء بالكسر أنْفَسُه نفاسةً ، ضننتُ أو بخلتُ عليه به ، وما أحبُّ أن يصل إليه .

٣- رؤية الغير فاقد الأهلية للشيء مع حسده عليه ، نقول : تنافس الشيء ، وبالشيء على فلان ، لم يره أهلاً لهذا الشيء ، وحسده عليه .

٤- التسابق والتباري في الشيء ، من غير إلحاق الضرر بالمتنافس ، نقول : نافس فلان فلاناً في كذا : سابقه وباراه ، من غير أن يُلحق الضرر به ، وتنافس القوم في كذا : تسابقوا فيه ، وتَبارَوا ، دون أن يلحق بعضهم الضرر ببعض ، ومنه قوله سبحانه : ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ (المطففين) [١] .

ولا تعارض بين هذه المعاني جميعاً ، فإن رؤية الغير ليس أهلاً للشيء أو للأمر قد تحمل أو تقود إلى التسابق والتباري في تحصيله ، رغبةً فيه ، ومحَبَّةً له ، وضنّاً به على هذا الغير .

التنافس اصطلاحاً :

ولا يعرف معنى التنافس اصطلاحاً إلا بما يُضاف إليه ، فإذا أضيف إليه الدنيا كان معناه : «التباري في الرغبة في الدنيا ، وأسبابها ، وحظوظها ، على وجه الانفراد ، والاستئثار بها» [٢] .

وإذا أضيف إلى الآخرة كان معناه : «التباري في الرغبة في الآخرة وأسبابها وحظوظها على وجه لا يلحق فيه ، ولا يسبق» [٣] .

(١) انظر : لسان العرب ٦/ ٢٣٨ ، مختار الصحاح ص ٤٥١-٤٥٢ ، المعجم الوسيط ٢/ ٩٤٠ مادة : «نفس» وانظر كذلك : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للإمام النووي ٥/ ٤٢٧ ، وفتح الباري لابن حجر العسقلاني ١١/ ٢٤٥ بتصرف كبير .

(٢ ، ٣) انظر : المنهاج للنووي ٥/ ٤٢٧ ، وعنه نقل ابن حجر في : فتح الباري ١١/ ٢٤٥ .

العلاقة بين الحسد ، والغبطة ، والتنافس :

والعلاقة بين الحسد ، والغبطة ، والتنافس ـ تبعاً لما عرفنا من ماهية كلٍّ منها ـ تظهر في : أن الحسد ، تمنِّي زوال نعمة الغير مطلقاً ، والغبطة تمنّي مثل نعمة الغير ، دون إرادة زوالها عنه ، والتنافس : هو الرغبة في الشيء وأسبابه ، على وجه الانفراد ، والاستئثار به .

المبحث الثاني

حول ماهية العين وعلاقتها بالنفس

العين لُغةً :

تطلق العين وما يشتق منها لُغَةً على معان ، منها :

١- حاسَّة البصر ، والرؤية ، والجمع : أعيان ، وأعين ، والكثير عيون ، وجمع الجمع أعْيُنات .

٢- الجاسوس الذي يُبعث لتجسس الخبر ، جاء في الحديث عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : «**بعث رسول الله ﷺ بُسَيْسةَ عيناً ، ينظر ما صنَعَتْ عيْرُ أبي سفيان . . .**» الحديث [1] .

٣- عظم سواد العين وسعتها ، نقول : رجل أعين : واسع العين ، بيِّن العين ،

(١) الحديث أخرجه مسلم في : كتاب الإمارة (الجهاد عند المزّي في : تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف ١/ ١٣٥ - ١٣٦ رقم ٤٠٨) باب : ثبوت الجنَّة للشهيد ٣/ ١٥٠٩ - ١٥١١ رقم ١٩٠١ (١٤٥) ، عن أنس بن مالك بهذا اللفظ ، وهوجزء من حديث طويل ، وأبو داود في : السنن : كتاب الجهاد : باب في بعث العيون ٣/ ٨٨ رقم ٢٦١٨ إلى نهاية إسناد مسلم ، مقتصراً على هذا اللفظ ، وأحمد في :٣/ ١٣٦ ، ١٣٧ ، وبُسَيْسَةُ هذا : ذكره ابن حجر في الإصابة : القسم الأول ١/ ١٥١ فسمَّاه : «بسبسة بن عمرو بن ثعلبة الخزرجي» ، وضبطه بموحدتين مفتوحتين ، بينهما مهملة ساكنة ، ثم مهملة مفتوحة ، قال : «ويقال له : «بسبس» بغيرها - هو قول ابن إسحاق وغيره - شهد بدراً باتفاق ، وحكى عياض : أنه في مسلم بموحدة مصغَّر ، «بسيبسي» قال ابن حجر ، وهو عند أبي داود بسيبسة» بصيغة التصغير ، وكذا قال ابن الأثير : إنَّه رآه في أصل ابن منده ، لكن بغيرهاء ، قال :«والصواب : الأول ، فقد ذكر ابن الكلبي أنَّه الذي أراد الشاعر بقوله :

أقم لها صدورها يا بسبس ... إن مطايا القوم لا تحبس

ومنه قيل لبقر الوحش : «عين» صفة غالبة ، وقال الله تعالى في نساء الجنَّة :
﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾ (الواقعة : ٢٢) .

٤- الرئيس الرائد ، نقول : فلان عين الجيش : رئيسه ، ورائده .

٥- عين الماء ، أو ينبوع الماء الذي ينبع من الأرض ويجري ، ومنه قوله تعالى :
﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ ﴾ «الإنسان» ، ﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ﴾ (الإنسان) .

٦- الناحية أوالجهة ، نقول : جاء منْ هذه العين : الناحية أو الجهة .

٧- الشمس ، نقول طلعتْ العينُ ، أو غابت العين : الشمس .

٨-المال العتيد ، الحاضر ، النَّاضُّ ، ومنْ كلامهم : عين غير دين .

٩- النقد ، يقال : اشتريتُ العبد بالدينَ أو بالعين : النقد .

١٠- الدينار أوالذهب عامَّة .

١١- الميل ، تقول العرب : في هذا الميزان عين ، أي في لسانه ميل قليل ، أو لم يكن مستوياً .

١٢- حقيقة الشيء ، يقال : جاء بالأمر منْ عين صافية : أي من قصِّه ، وحقيقته ، وجاء بالحقِّ بعينه : أي خالصاً واضحاً .

١٣- نفس الشيء وشخصه ، وأصله ، وعينُ كلِّ شيء : نفسه ، وحاضره ، وشاهده .

١٤- الشاهد ، تقول العرب : عين الرجل شاهده . ومنه قولهم : الفرس الجواد عينُه فراره ، يعني : إذا رأيته وشاهدته تفرَّسْتَ فيه الجودة من غير أن تغرَّه عن عَدْوٍ ، أو غير ذلك .

١٥-حرف الهجاء المعروف باسم «العين» .

١٦- العائن أي الذي يصيب ، أو يؤذي الآخرين بعينه ، يقال : عِنْتُ الرجل : إذا

أصبته بعينك ، فأنا أعينه عينا ، وهو معيون ، ورجل عيون ، ومعيان : خبيث العين ، والعائن : الذي يعين ، وهكذا ، إلى أكثر من عشرين معنى [1] .

وواضح من هذه التعاريف : أن الأول منها حقيقي ، وبقيتها مجازي .

العين شرعاً :

عرَّف القاضي أبو بكر بن العربي ت٥٤٤ هـ العيْن شرعاً فقال : «أن يخلق الله في المعيون - عند نظر العائن إليه وإعجابه به إذا شاء - ما شاء من ألم أو هلكة» [2] .

وعرَّفها ابن حجر العسقلاني فقال :

«والعين : نظر باستحسان ، مشوب بحسد ، من خبيث الطبع ، يحصل للمنظور منه ضرر» [3] .

وكان ينبغي لابن حجر أن يقيِّده بالمشيئة ، كما فعل ابن العربي ، لئلا يُفهم منه أن العين تؤثر بنفسها ، كما كان عليه أن يرفع عبارة «مشوب بحسد من خبيث الطبع» لأنَّ العَيْنَ قد تؤثر بذلك ، وقد تؤثر بمجرد الاستحسان والإعجاب ، دون أن يكون معها حسد ، بدليل حديث سهل بن حنيف ، إذ يروي عنه ابنه أبو أمامة فيقول : إنَّ أباه حدّثه : أن النبيَّ ﷺ خرج ، وساروا معه نحو مكة ، حتى إذا كانوا بشعب الخرار - من الجحفة - اغتسل سهل بن حنيف - وكان رجلاً ابيض حسن الجسم والجلد - فنظر إليه عامر بن ربيعة ، فقال : ما رأيتُ كاليوم ، ولا جلد مخبَّأة ، فلُبط - أي صُرع وزنا ومعنى - سهل ، فأتى رسول الله ﷺ فقال : «**هل تتَّهمون به من أحد؟**» قالوا : عامر بن ربيعة ، فدعا

---

(١) انظر : معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٤/ ١٩٩ - ٢٠٤ ، ولسان العرب لابن منظور ٤/ ٣١٩٧ ، ٣٢٠١ ، والكليات لأبي البقاء الكفوي ص ٦٤٢ - ٦٤٣ ، والمعجم الوسيط ٢/ ٦٤٠- ٦٤١ ، مادة «عين» بتصرف كثير .

(٢ ، ٣) انظر : فتح الباري ١٠/ ٢٠٠ .

عامراً فتغيّظ عليه ، فقال :«**علام يقتل أحدكم أخاه؟ هلاَّ إذا رأيت ما يعجبك برَّكت؟** ثم قال : «**اغتسل له**» فغسل وجهه ، ويديه ، ومرفقيه ، وركبتيه ، وأطراف رجليه ، وداخلة إزاره في قدح ، ثم صُبَّ ذلك الماء عليه ، يصبُّهُ رجلٌ منْ خلفه على رأسه ، وظهره ، ثم يكفئ القدح ، ففعل به ذلك ، فراح سهل مع النَاس ، ليس به بأس» (١) .

فإن الحديث صريح ـ كما نرى ـ في الإصابة بالعين لمجرد الاستحسان والإعجاب ، من غير أن يقترن ذلك بالحسد ، ولقد أقرَّ ابن حجر نفسه بذلك في الصحيفة التي تلي هذه الصحيفة التي ذكر بها تعريفه المذكور ، عند بيان الفوائد المستنبطة من حديث أبي هريرة مرفوعاً عند البخاري : «**العين حق . . .**» وحديث ابن عباس عند مسلم : «**العين حق ، ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين ، وإذا استُغسلتُم فاغسلوا**» (٢) ، قائلاً : «وفي الحديث من الفوائد أيضاً : أن العين تكون مع الإَعجاب ، ولو بغير حسد ، ولو من الرجل المحب ، ومن الرجل الصالح»(٣) .

ولم يبق بعد هذا النقد الموجَّه إلى تعريف ابن حجر للعين شرعاً ، سوى اعتماد تعريف القاضي ابن العربي لسلامته من مثل هذا النقد .

النفس لغة :

تأتي النفس في اللغة على معان ، منها :

١- الروح ، نقول : خَرَجَتْ نفس فلان : روحه .

٢- الروع ، نقول : وفي نفس فلان أن يفعل كذا وكذا : في روعه(*) .

---

(١) الحديث أخرجه أحمد ٣/ ٣٨٦ - ٣٨٧ .

(٢) انظر : فتح الباري ١٠/ ٢٠٣ .

(٣) انظر : فتح الباري ١٠/ ٢٠٥ .

* رُوْعُه : نفسه وخلده ، ومنه قوله - ﷺ : «إن روح القدس نَفَثَ في رُوْعِي» أي في نفسي وخلدي . انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ١١١ .

٣- جملة الشيء ، وحقيقته ، تقول : قتل فلان نفسه ، وأهلك نفسه : أوقع الهلاك بذاته كلها ، وحقيقته ، والجمع من كلِّ ذلك : أنفس ، ونفوس .

٤- العين ، يقال : أصابتْ فلاناً نَفْسٌ ، ونفستُك بنفس إذا أصبتهَ بعين ، ويقال : ما أنفسه : ما أشدَّ عينه ، والنافس : العائن ، والمنفوس : المعيون .

٥- الحسد ، يقال : نَفَسَ عليك فلانٌ ، ينفس نفساً ، ونفاسةً : حسدك [1] .

النفس شرعاً :

وتُطلق النَّفْسُ شرعاً : على العين ، ويدل لذلك ما أخرجه البزَّار من حديث جابر - رضي الله عنه - رفعه : «أكثر من يموت بعض قضاء الله وقدره بالنفس» ، قال الراوي : يعني العين [2] ، وما أخرجه أبو داود في : السُّنن : كتاب الطب : باب ما جاء في الرّقى ٤/ ٢١٥-٢١٦ رقم ٣٨٨٨ من حديث سهل بن حنيف قال : مررنا بسيل ، فدخلتُ ، فاغتسلت فيه ، فخرجتُ محموماً ، فنمى ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال : «**مروا أبا ثابت يتعوَّذ**» ، فقلت : يا سيدي ، والرقى صالحة؟ فقال : «**لا رقية إلا في نفس ، أو حُمَّة ، أو لدغة**» .

وما أخرجه مسلم في : الصحيح : كتاب السَّلام : باب الطب والمرضى والرقى ٤ / ١٧١٨/ -١٧١٩ رقم ٢١٨٦ «٤٠» من حديث أبي سعيد الخدري : أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال : يا محمد ، اشتكيتَ؟ فقال : «**نعم**» ، قال : «**باسم الله أرقيك ، من كلِّ شيءٍ يُوذيك ، من شرِّ كل نفسٍ ، أو عينِ حاسد ، الله يشفيك ، باسم الله أرقيك**» .

الفرق بين العين والنفس :

---

(١) انظر : الصحاح في اللغة والعلوم للمرعشليين ص ١١٩٠ ، والمعجم الوسيط ٢/ ٩٤٠ .

(٢) الحديث أورده ابن حجر في : فتح الباري ١٠/ ٢٠٤ ، قائلاً : «وقد أخرج البزَّار من حديث جابر بسند حسن عن النبي ﷺ قال : «أكثر من يموت . . . . الحديث» .

وبعد بيان ماهية كلٍّ من العين والنَّفْس ، يوحي الظاهر أن العين والنفس مترادفان ، كأنهما اسمان لمسمًّى واحد ، وحين يذكران معاً تكون العين تفسيراً للنفس ، كما في رقية جبريل للنبي ﷺ تلك التي أثبتناها الآن . ولكن بعد التدقيق والتمحيص : يظهر أن النَّفسْ أعم ، والعين أخص ، كما يشهد بذلك الواقع ، وهذا هو ما ينبغي أن يحمل عليه الحديث .

المبحث الثالث

علاقة كل من الحسد والعين بالآخر

وعلى ضوء ما قدمنا في ماهية الحسد والعين ، وما في معناهما ، يتبيَّن الفرق بينهما .

وخلاصته : أن الحسد أعم من وجه ، وأخص من وجه آخر ، وكذلك العين ، فمن حيث السبب أو الباعث على الحسد والعين يلتقيان فيما كان سببه أو باعثه البغض أو الكراهية للنعمة تكون عند الغير ، وإرادة زوالها عنه ،وتنفرد العين فيما كان سببه الإعجاب والاستحسان ، ومن حيث السعي في إزالة النعمة عن الغير يلتقيان فيما كانت وسيلته الرؤية ، أو التوجه بالروح أو التوهم والتخيُّل ، وينفرد الحسد فيما كانت وسيلته غير ذلك من الاتصال والملامسة ، أو التميمة ، أو الأدعية ، والرُّقى ، والتعوذُّات ، يقول ابن حجر : «والعينُ تكون مع الإعجاب ، ولو بغير حسد ، ولو من الرجل المحبِّ ، ومن الرجل الصالح» [1] ، وفي هذا إشارة إلى الوجه الأول .

ويقول : ابن القيِّم : «والتأثير غير موقوف على الاتصالات الجسمية كما يظنه مَنْ قلَّ علمه ومعرفته بالطبيعة والشريعة ، بل التأثير يكون تارةً بالاتصال ،

(١) انظر : فتح الباري ١٠/ ٢٠٥ .

وتارة بالمقابلة ، وتارة بالرؤية ، وتارة بتوجه الروح نحو مَنْ يؤثر فيه ، وتارةً بالأدعية ، والرُّقى ، والتعوُّذات ، وتارةً بالوهم ، والتخيُّل . ونفس العائن لا يتوقف تأثيرها على الرؤية ، بل قد يكون أعمى ، فيوصف له الشيء ، فتؤثر نفسه فيه ، وإنْ لم يره ، وكثير من العائنين يوثر في المعين بالوصف من غير رؤية ، وقد قال تعالى لنبيه :

﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَـٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴾ القلم : آية(٥١)

وقال :

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾[1] وفي هذا اشارة إلى الوجه الثاني .

المبحث الرابع

الحسد في الدراسات النفسية المعاصرة

يتصور كثير من علماء النفس المعاصرين : أن الحسد من مكوّنات انفعال الغيرة التي تحمل على الصراع بين المتنافسين ، وتمنّي الخصومة بينهم .

ومنهم مَنْ يتصوره : منْ مكوِّنات سمة العداوة Hostilitytrait وهي سمة مرتفعة عند الجانحين ، فكلما زاد الحسد ، وما يرتبط به : من حقد ، وغيظ ، وخصومة ، وشحناء ، وبغضاء ، زاد الميل للعُدوان والرغبة في التعدَّي على الناس ، وممتلكاتهم .

أما مدرسة التحليل النفسي الفرويدية فتتصور : أن الحسد عند البنات أعلا منه عند الأولاد ، وردُّوا ذلك إلى عوامل فطرية قائلين : «ان البنت تحسد الولد

لامتلاكه قضيبا ، وترغب في امتلاك مثله ، فتميل إلى إبيها ، وتغير عليه من أمِّها ، وتسمِّي ذلك «عقدة الكترا» ويميل الولد إلى أمِّه ، ويغير عليها من أبيه «عقدة أوديب» .

وقد أثبتتْ الدراسات التجريبية خطأ هذا التصور ، نظرًا لكون الحسد بين أفراد الجنس الواحد ، أعلا منه بين أفراد الجنسين ، فالبنت تحسد البنت مثلها أكثر مِّما تحسد الأولاد ، والولد يحسد الولد مثله اكثر مِّما يحسد البنات [1] .

(١) انظر : زاد المعاد ٣/ ١١٨ .

الفصل الثاني

حول حقيقة الحسد والعين بين الإنكار والإثبات

في ضوء السُّنَّة النبوية

ونعرض في هذا الفصل : أقوال المنكرين والمثبتين للحسد والعين ، وأدلة كل فريق ، ثم نوازن بين هذه الأدلة ، لمعرفة الرأي الراجح في ضوء السُّنَّة النبوية ، وذلك من خلال هذه المباحث :

المبحث الأول

المنكرون للحسد والعين وأدلتهم

أنكر الحسد والعين نفرٌ من الناس ، وهم : الطبعيون الماديّون الملحدون الذي يقولون : الكون مادة ، ولا إله ، ولا إيمان ، إلا بما تدرك الحواس الخمس . والطبيعة ، أو الصدفة ، أو الأسباب والمسببات ، هذه هي التي تحرِّك كل شيء في هذا العالم .

وما دمنا لا نرى اتصالاً محسوساً مباشراً بين الحاسد والعائن ، وبين المحسود والمعيون ـ عند نزول الضرر بكل منهما ـ ، فإنا لا نُسلِّم بالحسد والعين ، وإنما هما من قبيل الأوهام والخيالات ، فدليلهم ـ أذن ـ هو الواقع المدرك بالحواس .

يقول ابن القيِّم عن هذا النَّفر من النَّاس :

«فأبطلت طائفة مَمَّنْ قلَّ نصيبهم من السَّمْع والعقل أمر العين وقالوا : «إنما ذلك أوهام لا حقيقة لها» [1] .

وقال المازري : «وقد أنكره طوائف من المبتدعة ، والدليل على فساد ما

---

(١) انظر : زاد المعاد ٣/ ١١٧ .

قالوه : أن كلَّ معنى ليس بمحال في نفسه : ولا يؤدي إلى قلب حقيقة ، ولا إفساد بدليل ، فإنه منْ مجوِّزات العقول ، فإذا أخبر الشرع بوقوعه فلا معنى لتكذيبه ، وهل فرقَ بين تكذيبه في هذا ـ إذ ثبت جوازه ـ ، وبين تكذيبه فيما نخبر من أخبار الآخرة» [١] .

وإنصافاً لهؤلاء ينبغي التفريق بين إنكار أصل الفعل ، وإنكار الأثر المترتب عليه ، إذ هم لا ينكرون أصل الفعل ، وإنما ينكرون الأثر المترتب عليه .

المبحث الثاني

المثبتون للحسد والعين وأدلتهم

وأثبت الحسد والعين أهل السنة والجماعة ، مستدلين بقوله تعالى :

﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾ «الفلق» .

إذ يقول القرطبي – رحمه الله تعالى :

«وقوله ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾ : سدليل على أن الحسد يؤثر في المحسود ، ضرراً يقع به ، إمَّا في جسمه بمرض ، أو في ماله ، وما يختص به بضرر ، وذلك بإذن الله ـ تعالى ـ ومشيئته ، كما قد أجرى عادته ، وحقَّق إرادته ، فربط الأسباب بالمسبِّبات ، وأجرى بذلك العادات ، ثم أمرنا في دفع ذلك بالالتجاء إليه ، والدعاء ، وأحالنا على الاستعانة بالعُوَذ والرقى [٢] .

وبقوله تعالى :

﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ «القلم» .

(١) انظر : المعلم بفوائد مسلم ٣/ ١٥٥ – ١٥٦ ، وعنه نقل النووي في : المنهاج ٥/ ٣٢ .

(٢)انظر : المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٥/ ٥٦٤ .

ويقوله ﷺ : **«العَيْنُ حقٌ ، ولو كان شيءٌ سَابَقَ القَدَر سبقتْهُ العيْنُ ، وإذا استُغْسِلتُم فاغسلوا»** (١) .

إذ يقول القرطبي :

(قوله : «**العين حق**» أي ثابت موجود ، لا شكَّ فيه ، وهذا قول علماء الأمَّة ، ومذهب أهل السنة) (٢) .

ويقول أيضاً :

(وقوله : «**ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين**» هذا إغياء في تحقيق إصابة العين ، ومبالغة فيه ، تجرى مجرى التمثيل ، لا أنَّه يمكن أن يَرُدَّ القدر شيء ، فإن القدر عبارة عن سابق علم الله ـ تعالى ـ ونفوذ مشيئته ، ولا رادَّ لأمره ، ولا مُعقِّبَ لُحكمه ، وإنما هذا خرج مخرج قولهم : لأطلبنَّك لو تحت الثرَّى ، أو لو صعدت إلى السماء ، ونحوه ، مما يجري هذا المجرى ، وهو كثير»(٣) .

ويقوله ﷺ :

«والعين حقٌّ ، ويحضر بها الشيطان ، وحسد ابن آدم» (٤) .

ويقوله أيضاً :

«أكثر مَن يموت بعد قضاء الله وقدره بالنفس . يعني : بالعين» (٥) .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في كتاب السَّلام : باب الطبِّ والمرضى والرُّقى ٥/ ٣٢ (المنهاج للنووي) من حديث ابن عباس مرفوعاً به ، والترمذي كتاب الطب : باب أن العين حقٌ والغسل لها ٤/ ٣٤٧ برقم ٢٠٦٢ من حديث ابن عباس ، والنسائي (الكبرى) كتاب الطب : باب العين ٤/ ٣٨١ برقم ٧٦٢٠/ ٤ من حديث ابن عباس به ، وابن ماجه : كتاب الطب : باب العين ٢/ ١١٥٩ برقم ٣٥٠٦من حديث عبدالله بن عامر بن ربيعة ، عن أبيه ، مرفوعاً ، وبرقم ٣٥٠٨ من حديث أبي هريرة مرفوعاً ، غير أنه اقتصر في الروايتين على قوله : «العين حق» وبرقم ٣٥٠٨ من حديث عائشة مرفوعاًبلفظ : «استعيذوا بالله ، فأن العين حق» غير أن في إسناده - كما قال البوصيري في : مصباح الزجاجة - أبا واقد ، واسمه . صالح بن محمد بن زائدة الليثي وهو ضعيف .

(٢, ٣) انظر : المفهم ٥/ ٥٦٥، ٥٦٦ .

(٤) الحديث أخرجه أحمد ٢/ ٤٣٩ دار صادر بيروت ، ٣/ ١٨٢ ، ١٨٣ ، برقم ٩٣٧٦ من حديث أبي هريرة بهذا اللفظ .

(٥) الحديث سبق تخريجه في ص ,١٧ حاشية (٢) .

واستدلوا بأن العقل لا يمنع ذلك ، كما تقدم ردُّ المازري على الطبعيين .

كما استدلوا بالواقع نفسه ، حيث يقول القرطبي :

«فكم من رجل أدخلته العينُ القبرَ ، وكم من جمل ظهير أحَلَّتْهُ القِدر ، لكن ذلك بمشيئة الله ـ تعالى ـ كما قال :

﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ (البقرة : ١٠٢) [1] .

ويبيّن أهل السنة والجماعة الكيفية التي يتم بها ذلك ، قائلين : لا يبعد أن تنبعث جواهر لطيفة غير مرئية من العين ، فتتصل بالمعين ، وتتخلل مسامَّ جسمه ، فيخلق الله سبحانه الهلاك عندها ، كما يخلق الهلاك عند شرب السُّمِّ ، عادة أجراها الله ـ تعالى ـ ، وليس ضرورة ، ولا طبيعة ألجأ إليها العقل [2] .

وأيدوا هذه الكيفية بما هو مُشاهد في الواقع ، حيث أجرى الله العادة بوجود كثير من القوى ، والخواص في الأجسام والأرواح ، كما يحدث لمن ينظر إليه من يحتشمه من الخجل ، فيرى في وجهه حمرة شديدة ، لم تكن قبل ذلك ، وكذا الاصفرار عند رؤية مَنْ يخافه [3] .

يقول ابن حجر :

«وقد أشكل ذلك على بعض الناس فقال : كيف تعمل العين من بعد حتى يحصل الضرر للمعيون؟ والجواب : أن طبائع الناس تختلف ، فقد يكون ذلك مِنْ سمٍّ يصل من عين العائن في الهواء إلى بدن المعيون ، وقد نقل عن بعض مَنْ كان معياناً أنّه قال : إذا رأيتُ شيئاً يعجبني وجدتُ حرارة تخرج من عيني ،

---

(١) انظر : المفهم ٥/ ٥٦٥ .

(٢) انظر : المعلم بفوائد مسلم ٣/ ١٥٦ ، وعنه نقل النووي في : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٥/ ٣٢ .

(٣) انظر : فتح الباري ١٠/ ٢٠٠ .

ويقرب ذلك بالمرأة الحائض تضع يدها في إناء اللبن فيفسد ، ولو وضعتها بعد طُهرها لم يفسد ، وكذا تدخل البستان فتضر بكثير من الغروس من غير أن تمسَّها يدها ، ومن ذلك : أن الصحيح قد ينظر إلى العين الرمداء فيرمد ، ويتثاءب واحد بحضرته فيتثاءب هو ، أشار إلى ذلك ابن بطال» [١] .

ويقول في موضع آخر :

«وكل ذلك بواسطة ما خلق الله ـ تعالى ـ في الأرواح من التأثيرات ، ولشدة ارتباطها بالعين نسب الفعل إلى العين ، وليستْ هي المؤثرة ، وإنما التأثير للروح ، والأرواح مختلفة في طبائعها ، وقواها وكيفياتها ، وخواصها .

فمنها : ما يؤثر في البدن بمجرد الرؤية من غير اتصال به ، لشدة خبث تلك الروح ، وكيفيتها الخبيثة . والحاصل : أن التأثير بإرادة الله - تعالى - وخلقه ليس مقصوراً على الاتصال الجسماني ، بل يكون تارةً به ، وتارةً بالمقابلة ، وأخرى بمجرد الرؤية ، وأخرى بتوجه الروح ، كالذي يحدث من الأدعية ، والرقى ، والالتجاء إلى الله ، وتارةً يقع ذلك بالتوهم ، والتخيُّل ، فالذي يخرج من عين العائن : سهم معنوي ، إن صادف البدن ولا وقاية له أثَّر فيه ، وإلا لم ينفذ السَّهم ، بل ربما رُدَّ على صاحبه كالسَّهْم الحسِّي سواء» [٢] .

هذا ومن المثبتين من فلاسفة الإسلام ، وأصحاب المذهب العقلي من صوَّر هذه الكيفية قائلاً :

«إن العائن تنبعث من عينه قوَّة سُمِّية تتصل بالمعيون فيهلك ، أو يفسد ، قالوا : لا يستنكر هذا ، كما لا يستنكر قوَّة سُمِّية من الأفعى والعقرب تتصل باللديغ فيهلك ، وإن كان ذلك غير محسوس لنا ، فكذلك العين» [٣] .

(١ ,٢) المرجع السابق : ١٠/ ٢٠٠ ، ٢٠١ .

(٣) انظر : المعلم بفوائد مسلم ,٣/ ١٥٦ وعنه نقل النووي في : المنهاج ٥/ ٣٢ .

وقد أبطل المازري هذا التفسير بقوله :

«وهذا عندنا غير مُسلم ، لأنَّا بيَّنَّا في كتب علم الكلام ألا فاعل إلا الله ـ تعالى ـ ، وبيَّنَّا فساد القول بالطبائع ، وبيَّنَّا أن المحدَث لا يفعل في غيره شيئاً ، وهذه الفصول إذا تقرَّرت لم يكن بنا حاجة معها إلى إثبات ما قالوه .

ونقول : هل هذا المنبعث من العين جوهر أو عرض؟ فباطل أن يكون عرضاً إذ العرض لا ينبعث ، ولا ينتقل ، وباطل أن يكون جوهراً ، إذ الجواهر متجانسة ، فليس بعضها أن يكون مفسداً لبعض أولى من أن يكون الآخر مفسداً له ، فإذا بطل كونه عرضاً أو جوهراً مفسداً على الحقيقة ، بطل ما يشيرون إليه» (١) .

ويعني المازري بكلامه هذا : بطلان تأثير العين بذاتها كما يقول الفلاسفة ، وأصحاب المذهب العقلي ، وإنما تؤثر بإرادة الله ـ تعالى ـ وإذنه ومشيئته .

المبحث الثالث

تقييم أقوال المنكرين والمثبتين للحسد والعين

والراجح : ما ذهب إليه أهل السُّنةوالجماعة : إثباتاً وكيفية ، لاسيما وقد جاء عن النبيﷺ ما يصلح أن يُقاس عليه ، لشرح الكيفية المذكورة آنفاً .

إذ جاء عن ابن عمر – رضي الله عنهما – أنه سمع النَّبيَّ ﷺ يخطب على المنبر يقول :«**اقتلوا الحيات ، واقتلوا ذا الطُّفيتين ، والأبتر ، فإنهما يطمسان البصر ، ويستسقطان الحَبَل**» (٢) .

---

(١) انظر : المعلم بفوائد مسلم :٣/ ١٥٦ ، وعنه نقل النووي في : المنهاج ٥/ ٣٢ .
ذوالطُّفيتين : الطُّفية : خوصة المُقل في الأصل ، وجمعها طُفىً ، شبَّه الخطَّين اللذي على ظهر الحيَّة ، بخوصتين من خوص المقل ، انظر النهاية ٣/ ٤١
والأبتر : المقطوع الذنب . ومن الحيات : القصير الذنب الخبيث ، انظر : المعجم الوسيط ١/ ٣٧ .
(٢) الحديث أخرجه البخاري : كتاب بدء الخلق : باب قول الله تعالى : ﴿وبث فيها من كل دابة﴾ ٤/ ١٥٤ ، ومسلم : كتاب السّلام : باب قتل الحيات وغيرها ٤/ ١٧٥٢ - ١٧٥٣ رقم ٢٢٣٣/ ١٢٨ ، ١٢٩ ، وأبو داود :=

وعن أبي لبـابـة : أن النَّبي ﷺ قـال : «**لا تقـتلوا الجنَّان ، إلا كل أبتـر ذي طُفْيتين ، فإنه يسقط الولد ، ويُذهب البصر ، فاقتلوه**»(١) .

وعن عـائشـة - رضي الله عنهـا - قـالت : قـال النبي ﷺ : «اقـتلوا ذي الطُّفْيتين ، فأنَّه يلتمس البصر ، ويصيب الحمل» (٢) .

وفـي روايـة : «**أمـر النبي ﷺ بقـتل الأبتـر ، وقـال : أنه يصـيب البـصـر ، ويُذْهِبُ الحبَلَ**» (٣) .

إذ مـا يصـدق على هذا الصنف من المخلوقـات يصـدق على الحـاسـد ، والعـاين ، فيكون الضرُّ والأذى إذ أراد الله - عز وجل - ذلك ، وإلا فـلا شيء . أمّا المنكرون له أو المثبتون على غير وجهه : فلا حجة لهم سوى الهوى أو التحكم العقلي المَحْض ، غير أنه لابدَّ من التأكيد ـ هنا ـ أنه لا يصح الإفراط في : ردِّ كل ضرر أو أذى إلى الحسد والعين ، لا سيَّما وأنَّ تأثيرهما ليس من ذات الحاسد أو العائن ، وإنَّما بمشيئة الله - عزَّ وجلَّ - .

ولعلَّ الأخذ بأساليب الوقاية - التي ستُذكر في موضعها من هذا البحث - مما يحمي من آثار الحسد والعين ، وكذلك الأخذ بأساليب العلاج ، مما يبطل هذا الأثر إن وقع لا قدَّر الله .

=كتاب الأدب : باب في قتل الحيَّات ٥/ ٤١١ ، برقم ٥٢٥٢ والترمذي : كتاب الأحكام والفوائد : باب ماجاء في قتل الحيات ٤/ ٦٤-٦٥ برقم ١٤٨٣ ، وعقَّب عليه بقوله : «هذا حديث حسن» وابن ماجه : كتاب الطبِّ ، باب قتل ذي الطُّفيْتَين ٢/ ١١٦٩ برقم ٣٥٣٥ ، وأحمد ٢/ ٩ ، ١٢١ ، كلهم من حديث عبدالله بن عمر - مرفوعاً ، واللفظ للبخاري .

(١) الحديث أخرجه البخاري : كتاب بَدْء الخلق : باب خير مال المسلم غَنَمٌ يتبع بها شعف الجبال ٤/ ١٥٦ ، ومسلم : كتاب السلام : باب قتل الحيات وغيرَها ٤/ ١٧٥٣-١٧٥٥ برقم ١٣١ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، وأبو داود : كتاب الأدب : باب قتل الحيَّات ٤/ ٤١٢ برقم ٥٢٥٣ ، وأحمد : ٣/ ٤٥٣ ، كلهم من حديث أبي لبابة مرفوعاً ، واللفظ للبخاري

(٢ ، ٣) الحديث بروايتيه أخرجه البخاري : كتاب بَدْء الخلق : باب خير مال المسلم غنم يتبعُ بها شعف الجبال ٤/ ١٥٤ ، ومسلم : كتاب السَّلام : باب قتل الحيَّات وغيرها ٤/ ١٧٥٢ برقم ٢٢٣٢/ ١٢٧ ، والنسائي : كتاب المناسك ، باب قتل الوزغ ٥/ ١٨٩ ، وابن ماجه : كتاب الطبِّ ، باب قتل ذي الطفيتين ٢/ ١١٦٩ برقم ٣٥٣٤ ، وأحمد ٦/ ٢٩ ، ٤٩ ، ٨٣ ، ١٥٧ ، ٢٣٠ ، كلهم من حديث عائشة مرفوعاً ، واللفظ للبخاري .

أجل : إن تجنُّب مثل هذا الإفراط يجعل المرء يمشي في الحياة آمناً مطمئناً ، وعلى الأخص عندما يتجنَّب المعاصي والسيئات ، ويتبع ذلك بالالتزام والمحافظة على الطاعات .

قال تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ الأنعام .

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ الرعد .

وفي ضوء ما تقدم من إثبات الحسد والعين وتأثيرهما بمشيئة الله -تعالى- لا يقولن قائل : إذا كان للحسد أوللعين تأثير ضار منْ غير ملامسة ، فلماذا يطير الطيارون بالطائرات الضخمة ولا يصابون بأذى؟ ولماذا يخترع المخترعون ، وينبغ النابغون في قوم كفّار ماديين؟ ولماذا بلغَتْ إسرائيل ما بلغَتْ من السيطرة على فلسطين ، بل على العالم العربي ، والإسلامي ، والغَربي ، وتسخير هؤلاء جميعا في التمكين لها ، وترسيخ أقدامها؟ لا يقولنَّ قائل ذلك ، لأن الله لم يأذن بشيء من ذلك ، ولم يشأ ، ومادام لم يأذن ولم يشأ فلا تأثير ولا ضرر .

الفصل الثالث

حول حكم الحسد والعين والحاسد والعائن في ضوء السنة النبوية

ولابد من بيان حكم الحسد والعين ، وكذلك الحاسد والعائن ، في ضوء السنة النبوية . وذلك من خلال هذه المباحث :

المبحث الأول

حكم الحسد والعين في ضوء السنة النبوية

يتفق العلماء : أن الحسد والعين ـ بمعنى تمنِّي زوال النعمة أو عدم نزولها بمن هو أهل لها ، مع السعَّي في تحقيق ذلك بكل وسيلة ممكنة ـ حرام ، لقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ (١) مِن شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ (٤) وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥) ﴾ «الفلق ١-٥» .

يقول ابن القيِّم – رحمه الله- :

«وتأمل تقييده سبحانه : شرَّ الحاسد بقوله : «إِذَا حَسَدَ» لأن الرجل قد يكون عنده حسد ، ولكن يخفيه ، ولا يترتب عليه أذى بوجه مَّا ، لا بقلبه ، ولا بلسانه ، ولا بيده ، بل يجد في قلبه شيئاً من ذلك ، ولا يعامل أخاه إلا بما يحبُّ الله ، فهذا لا يكاد يخلو منه أحد ، إلا مَنْ عصم الله .

وقيل للحسن البصري : أيحسدُ المؤمن؟ قال : ما أنساك لإخوة يوسف ! لكن الفرق بين القوَّة التي في قلبه منْ ذلك ، وهو لا يطيعها ، ولا يأتمر بها ، بل يعصيها طاعةً لله ، وخوفاً ، وحياءً منه ، وإجلالاً له أن يكره نعمه على عباده ، فيرى ذلك مخالفةً لله ، وبغضاً لما يحبُّ الله ، ومحبَّةً لما يبغضه ، فهو يجاهد نفسه على دفع ذلك ، ويلزمها بالدعاء للمحسود ، وتمنى زيادة الخير له ،

بخلاف ما إذا حقق ذلك وحسده، ورتَّب على حسده مقتضاه: من الأذى بالقلب، واللسان، والجوارح، فهذا الحسد المذموم، هذا كله حسد تمنِّي الزوَّال، ومثله: تمنِّي استصحاب عدم النعمة، فهو يكره أن يحدث الله لعبده نعمة، بل يجب أن يبقى على حاله منْ جهله، أو فقره، أوضعفه، أو شتات قلبه عن الله، أو قلة دينه. فهو يتمنَّى دوام ما هو فيه من نقص وعيب، فهذا حسد على شيء مقدَّر، والأول حسد على شيء محقَّق، وكلاهما حاسد، عدوُّ نعمة الله، وعدوُّ عباده، وممقوت عند الله ـ تعالى ـ، وعند الناس، ولايسوَّد أبداً، ولا يواسى، فإنَّ النَّاس لا يسوِّدون عليهم إلا مَنْ يريد الإحسان إليهم، فأمَّا عدوُّ نعمة الله عليهم فلا يسوِّدونه باختيارهم أبداً، إلا قهراً يعدُّونه من البلاء والمصائب التي ابتلاهم الله بها، فهم يبغضونه، وهو يبغضهم»(١).

ولقوله ﷺ: «**لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً . . .**» الحديث (٢).

أمَّا الحسد والعين ـ بمعنى تمنِّي زوال النعمة أوعدم نزولها بمن ليس أهلاً لها من كافر أو فاسق يستعين بها على معاصي الله تعالى ـ فليس بمذموم، بل هو ممدوح» (٣).

لقوله تعالى:

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ (٨٨) «يونس».

---

(١) انظر: بدائع التفسير ٥/ ٤٢٣ - ٤٢٤.

(٢) الحديث سيأتي تخريجه في: الفصل الرابع.

(٣) انظر: فتح الباري ١/ ١٦٧ بتصرف.

يقول ابن عطية : «معناه : أهلكها ، ودمِّرْها ، وروى أن الطمسة كانت من آيات موسى - عليه السلام - التسع ، وقوله : ﴿**وأشدد على قلوبهم**﴾ بمعنى اطبع ، واختم عليهم بالكفر» (١) .

ولقول نوح -عليه السلام- :

﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ ﴾ «نوح» .

ورجا النبي ﷺ يوم بدر عير قريش ، لتكون نافلةً للمسلمين ، تعويضاً لهم عما تركوه في مكة من ناحية ، وإزالة لهذا المال من أيدي الكفار ، لكونهم يستخدمونه في المعصية ، ومنها : حرب الله ورسوله والمسلمين من ناحية أخرى .

فقد جاء في الحديث : أن النبيَّ ﷺ لما سمع بأبي سفيان مقبلاً من الشام : ندب المسلمين إليهم ، وقال :

«**هذه عير قريش ، فيها أموالهم ، فاخرجوا إليها ، لعل الله ينفلكموها . .**»(٢) .

وأما الحسد بمعنى الغبطة : أي تمنِّي مثل ما عندالغير من النعمة ، دون زوالها عنه ، فجائز ، لحديث :

«**لاحسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلَّطه على هلكته في الحقِّ ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويُعلِّمها**» (٣) .

وقد اختلف العلماء في المراد بالحسد في الحديث :

---

(١) انظر : المحرر الوجيز ٧/ ٢٠٦ .

(٢) الحديث أورده ابن هشام في : السيرة النبوية ٢/ ٦٠٦-٦٠٧ ، من طريق ابن إسحاق ، بسند صحيح ، حيث صرَّح ابن اسحاق بالتحديث .

(٣) الحديث سبق تخريجه في الفصل الأول ، وسيأتي في الفصل الرابع بتفصيل أكثر .

فذهب نفر إلى أن المراد به : الغبطة ، يعني : تمنِّي مثل ما للغير من النعمة ، دون زوالها عنه ، وأيَّد هذا الفهم حديثُ أبي هريرة مرفوعاً :

«**لاحسد إلافي اثنتين : رجل علَّمه الله القرآن ، فهو يتلوه آناء الليل ، وآناء النهار ، فسمعه جارٌ له ، فقال : ليتني أُوتيتُ مثلما أُوتي فلان ، فعملتُ مثلما يعمل ، ورجل آتاه الله مالاً فهو يُهلكه في الحقِّ ، فقال رجل : ليتني أُوتيت مثلما أُوتي فلان ، فعملت مثلما يعمل**» (١) .

يقول ابن حجر في تصوير هذا الرأي :

«وأمَّا الحسد المذكور في الحديث : فهو الغبطة ، وأطلق الحسد عليها مجازاً ، وهو أن يتمنى أن يكون له مثلما لغيره ، من غير أن يزول عنه ، والحرص على هذا يسمَّى منافسة ، فإن كان في الطاعة فهو محمود ، ومنه ﴿**فليتنافس المتنافسون**﴾ ، وإن كان في معصية فهو مذموم ، ومنه : ﴿**ولا تنافسوا**﴾ ، وإن كان في الجائزات فهو مباح ، فكأنه قال في الحديث : لا غبطة أعظم أو أفضل من الغبطة في هذين الأمرين ، ووجه الحصر : أن الطاعات إمَّا بدنية ، أو مالية ، أو كائنة عنهما ، وقد أشار إلى البدنية بإتيان الحكمة والقضاء بها ، وتعليمها» (٢) .

وذهب نفر ثان إلى أن الحسد في الحديث على حقيقته ، والاستثناء منقطع ، والمعنى : عليه نفي الحسد مطلقاً ، لكن هاتان الخصلتان محمودتان ، ولا حسد فيهما ، فلا حسد أصلاً (٣) .

وذهب نفر ثالث إلى أنَّ الكلام جرى مجرى المبالغة في الحثَّ على تحصيل

---

(١) الحديث سبق تخريجه : الفصل الأول .

(٢) انظر : فتح الباري ١/ ١٦٧ .

(٣) انظر : فتح الباري ١/ ١٦٧ .

هاتين الخصلتين ، كأنَّه قيل : لو لم يمكن تحصيل هاتين الخصلتين إلا بالطريق المذموم ـ وهو الحسد ـ ، لكان ما فيهما من الفضل حاملاً على الإقدام على تحصيلهما بهذه الطريق ، فكيف والطريق المحمود تساعد على تحصيلهما [1] .

المبحث الثاني

حكم الحاسد والعائن في ضوء السنَّة النبوية

وأمَّا حكم الحاسد والعائن فقد قال أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي ت ٦٥٦ هـ : «مَنْ عرف بالإصابة بالعين منع من مداخلة الناس ، دفعاً لضرره . قال بعض العلماء : يأمره الإمام بلزوم بيته ، وإن كان فقيراً رزقه ما يقوم به ، وكفَّ أذاه عن النَّاس ، ولو انتهتْ إصابة العين إلى أن يُعْرَف بذلك ، ويُعْلَمَ من حاله أنّه كلما تكلم بشيء مُعظِّماً له ، أو مُتعجباً منه أصيب ذلك الشيء ، وتكرر ذلك بحيث يصير ذلك عادةً ، فما أتلفه بعينه غرمه ، وإن قتل أحداً بعينه عامداً لقتله قتل به ، كالسَّاحر القاتل بسحره عند مَنْ لا يقتله كفراً» [2] .

ويمكن حمل كلام هذا النفر من العلماء على ما إذا استخدم الحاسد والعائن قوي خفية ! كالسحر ، أو الجنِّ ، مثلا .

وذهب الشافعية : إلى أنَّه لا قصاص ، ولا ديةَ ، ولا كفارة على الحاسد أو العائن إذا تسبب بعمله هذا في قتل غيره ، معللين : أن ذلك لا يقتل غالباً ، ولا يُعد مهلكاً .

قال النووي : – رحمه – الله :

«ولا ديَة فيه ، ولا كفَّارة ، لأنّ الحكم إنما يترتب على منضبط عام ، دون ما يختص ببعض الناس في بعض الأحوال ، مما لا انضباط له ، كيف ولم يقع منه

(١) انظر : فتح الباري ٩/ ٧٣ بتصرف .

(٢) انظر : المفهم ٥/ ٥٦٨ .

فعل أصلاً ، وإنما غايته حسد ، وتمنٍّ لزوال نعمة ، وأيضاً فالذي ينشأ عن الإصابة بالعين حصول مكروه لذلك الشخص ، ولا يتعيّن ذلك المكروه في زوال الحياة ، فقد يحصل له مكروه بغير ذلك من أثر العين [1] .

وتصوُّري أن الأمر ـ أولاً وآخراً ـ مرجعه إلى الإمام ، يتصرف بما يراه مناسباً ، لكن لا يسمح لمثل هذا الصنف من الناس بعد اليقين الذي لاشكَّ معه بخطره ـ أن يخالط الناس ويعايشهم ، وعليه أن يوفِّر له ولأهله وولده وذويه كفايتهم من العيش المناسب ، وهذا ما نقله ابن بطال عن بعض أهل العلم : أنه ينبغي للإمام منع العائن ـ إذا عُرف بذلك ـ مداخلة الناس ، وأن يلزم بيته ، فإن كان فقيراً رزقه ما يقوم به ، فإن ضرره أشد من ضرر المجذوم الذي أمر عمر ـ رضي الله عنه ـ بمنعه من مخالطة الناس ، كما تقدَّم واضحاً في بابه ، وأشد من ضرر الثوم الذي منع الشارع آكله من حضور الجماعة» [2] .

وعقَّب النووي على هذا الرأي بقوله :

«وهذا القول صحيح متعيِّن ، لا يعرف عن غيره تصريح بخلافه» [3] .

وينبغي الانتباه إلى أمر في غاية الأهمية ـ في هذا المقام ـ ألا وهو : عدم اتهام أحد من الناس بالحسد أو العين إلا بالبيِّنة المتمثلة في الإقرار أو ، العلم من حاله أنَّه كلما تحدَّث بشيء ـ على جهة التعظيم ، أو التعجب منه ـ أُصيب ذلك الشيء ، وتكرر منه بحيث تصير عادةً له .

---

(١) انظر : روضة الطالبين ٩/ ٣٤٨ ، وعنه نقل ابن حجر في : فتح الباري ١٠/ ٢٠٥ .

(٢، ٣) انظر : فتح الباري ١٠/ ٢٠٥ .

الفصل الرابع

أسباب الحسد والعين في ضوء السنة النبوية

وهناك أسباب وبواعث توقع في كلٍّ من الحسد والعين ، ودونك هذه الأسباب ، وتلك البواعث :

١ - وقوف المرء عند النعمة يراها في يد الغير ، وقد حُرِم هو منها ، مع نسيان المنعم وحكمته :

ذلك ، أن وقوف المرء عند النعمة يراها في يد الغير من : صحة ، وعافية ، وعلم ، ووجاهة ، ومال ، ورئاسة ، وأهل ، وولد ، وعشيرة ، ونحوها ، وقد حرم هذا المرء من هذه النعمة مع نسيان المنعم ، وأنه سبحانه قسّم النِّعم بين عباده بحكمة وتقدير ، بحيث يستوي العباد في نعم الدنيا في النهاية ، ولا يبقى التفاضل إلا بالتقوى وصالح العمل .

ذلك كله يفتح الطريق أمام الشيطان ، ليلقي في النفس طائفة من التساؤلات : لم كانت هذه النعمة عند فلان من الناس؟ ولِمَ خُصَّ بها دوني وهو لا يبلغ من الأهلية لها ما بلغتُ؟ ولِمَ لَمْ تكن لي من أوَل الأمر؟ وإن هذه النعمة التي أصابته دوني ، جعلتْ له مكاناً مرموقاً بين الناس ، ويظل الشيطان يُلقي هذه التساولات على النفس ، وينفخ فيها ، حتى تصل إلى حدٍّ كراهية هذه النعمة عند الغير ، وتمنِّي زوالها مطلقاً ، أعم من أن تؤول إليه أو إلى غيره ، بل العمل بالفعل على تحقيق ذلك ، بوسيلة أو أكثر من وسائل الحسد ، والعين التي ذكرنا آنفًا .

وكراهية النعمة عند الغير وتمنِّي زوالها عنه ، والعمل على تحقيق ذلك - بوسيلة أو بأخرى - إنما هو الحسد ، أو العين كما قدمنا .

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال :

«لا يجتمعان في النّار : مسلم قتل كافراً ، ثم سدَّد وقارب ، ولا يجتمعان في جوف مؤمن : غبار في سبيل الله ، وفحيح جهنَّم ، ولا يجتمعان في قلب عبد : الإيمان ، والحسد» (١) .

والحديث دالٌّ بمنطوقه ، أو بلفظه على أنَّ الإيمان بالله المنعم لا يجتمع مع الحسد أبداً ، بل إذا وُجد أحدهما انتفى الآخر ، فإذا وجد الإيمان بالله انتفى الحسد ، وإذا انتفى الإيمان بالله وُجد الحسد ، سواء فسَّر انتفاء الإيمان بانتفاء أصله – وهو الكفر بكل صوره وأشكاله من الإلحاد والشرك – أم فُسِّر بانتفاء كماله .

يقول العلامة السِّندي في حاشيته على سنن النسائي تعليقاً على الجملة الأخيرة من الحديث :

«هذا تقبيح للحسد ، وبيان أنّه لا ينبغي للمؤمن أن يحسد ، فإنه ليس من شأنه ذلك ، فمعنى لا يجتمعان ههنا : أنه ليس من شأن المؤمن أن يجمعهما ، ويحتمل أن المراد بالإيمان : كماله ، فليتأمّل : «يعني : المراد بالإيمان : أصله ، أو كماله» والله تعالى أعلم (٢) .

وقد حدثنا الله – عزَّ وجلَّ – في كتابه الكريم عن صنفين من الكفار قادهم الكفر بالله إلى الحسد : وهما أهل الكتاب : اليهود والنصاري ، ومشركوا مكة . أمّا أهل الكتاب :ـ اليهود والنصارى ـ فقد حسدوا محمداً وأمَّته على الفضل

---

(١) الحديث أخرجه النسائي : كتاب الجهاد : باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه ٦/ ١٢-١٣ (المجتبى) ٣/ ٩-١٠ رقم (٤-٧) ٤٣١٧ – ٤٣٢٠ (الكبرى) ، عن عيسى بن حماد ، عن ليث ، عن محمد بن عجلان ، عن سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ذكوان ، عن أبي هريرة به ، واختلف فيه على سهيل .

(٢) : ٦/ ١٣ بهامش : المجتبى ، وزهر الرُّبى .

الذي حباهم الله به ، حيث أعطى الله محمداً الرسالة العالمية الخاتمة ، ووعد بحفظها بنفسه ، وجعل أمته خير أمة أُخرجَت للناس ، وبلغ بهم الحسد حداً ودُّوا معه أن نصير كفاراً مثلهم ، قال تعالى :

﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَـٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾ «النساء» .

يقول ابن جرير – رحمه الله – :

«وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله عاتب اليهود الذين وصف صفتهم في هذه الآيات ، فقال لهم في قيلهم للمشركين منْ عَبَدَة الأوثان : إنهم أهدى من محمد ، وأصحابه سبيلاً ، على علم منهم بأنهم في قيلهم ما قالوا منْ ذلك كَذَبَةٌ ، أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ، وإنَّما قلنا : ذلكَ أولى بالصَّواب ، لأن ما قبل قوله : «أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله منْ فضله» مضى بذمِّ القائلين من اليهود للذين كفروا : هؤلاء اهدى من الذي آمَنوا سبيلاً ، فإلحاق قوله : أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله منْ فضله ، بذمِّهم على ذلك ، وتقريظ للذين آمنوا الذين قيل فيهم ما قيل أشبه ، وأولى ، مالم يأت دلالة على انصراف معناه ، عن معنى ذلك ، واختلف أهل التأويل في تأويل الفضل الذي أخبر الله أنَّه آتي الذين ذكرهم في قوله : «أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله» ، فقال بعضهم : ذلك الفضل هو النبوَّة ، وقيل : غير ذلك» .

واختار ابن جرير : أن هذا الفضل : هو النبوَّة التي فُضِّل بها محمد وتشرَّف بها العرب ، فقال : «وأولى التأويلين في ذلك بالصواب : قول قتادة ،

وابن جريج : إن معنى الفضل في هذا الموضع النبوَّة ، التي فضل الله بها محمداً ، وشرَّف بها العرب ، إذ آتاها رجلاً منهم دون غيرهم» (١) .

ويقول الآلوسي – رحمه الله – :

«أم يحسدون الناس : انتقال عن توبيخهم بالبخل إلى توبيخهم بالحسد الذي هو منْ أقبح الرّذائل المهلكة من اتصف بها : دنيا ، وأخرى . وذكره بعده من باب التَرقِّي ، وأمْ منقطعة ، والهمزة المقَّدرة بعدها لإنكار الواقع ، والمراد من الناس : سيِّدهم ، بل سيد الخليقة على الإطلاق : محمد ﷺ . وإلى هذا ذهب عكرمة ، و مجاهد ، والضحاك ، وأبو مالك ، وعطيِّة .

وذهب قتادة ، والحسن ، وابن جريج إلى أن المراد بهم : العرب . وعن أبي جعفر ، وأبي عبدالله : أنهم النبي ﷺ وآله ، عليه وعليهم أفضل الصلاة ، وأكمل التسليم ، وقيل : المراد بهم جميع الناس الذين بعث إليهم النبيﷺ ، من الأسود والأحمر ، بل أيحسدونهم : يعني النبوّة ، أو بعثة النبيﷺ منهم ، ونزول القرآن بلسانهم : أو جمعهم كمالات تقصر عنها الأماني ، أوتهيئة سبب رشادهم ببعثة النبيﷺ إليهم ، والحسد على هذا مجاز ، لأن اليهود لما نازعوه في نبوّته ﷺ ـ التي هي إرشاد لجميع الناس فكأنّما ـ حسدوهم جمع» (٢) .

وقال تعالى :

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ «البقرة :١٠٩» .

يقول ابن جرير – رحمه الله – :

ويعني بقوله – جل ثناؤه – «حسداً من عند أنفسهم» : أن كثيراً من أهل

---

(١) انظر : جامع البيان في تفسير القرآن ٥/ ٨٨ المجلد الرابع .

(٢) انظر : روح المعاني ٥/ ٧٥ المجلد الثاني .

الكتاب يودُّون للمؤمنين ما أخبر الله - جلَّ ثناؤه - عنهم : أنهم يودُّونه لهم من الرَّدَّة عن إيمانهم إلى الكفر - حسداً منهم ، وبغياً عليهم ، والحسد - إذن - منصوب على غير النَّعت للكفار ، ولكن على وجه المصدر الذي يأتي خارجاً من معنى الكلام الذي يخالف لفظه لفظ المصدر ، كقول القائل لغيره : تمنَّيْتُ لك ما تمنَّيْتُ من السوء ، حسداً منِّي لك ، فيكون الحسد مصدراً من معنى قوله : تمنَّيْتُ من السوء ، لأن في قوله : تمنَّيْتُ لك ذلك : معنى حَسَدْتُكَ على ذلك ، فعلى هذا نصب الحسد ، لأن في قوله : «ودَّكثير من أهل الكتاب لو يردُّونكم من بعد إيمانكم كفاراً» ، يعني حسدكم أهل الكتاب على ما أعطاكم الله من التوفيق ، ووهب لكم من الرشاد لدينه ، والإيمان برسوله ، وخَصَّكم به من أن جعل رسوله إليكم رجلاً منكم ، رؤفاً بكم ، رحيماً ، ولم يجعله منهم ، فتكونوا له تبعاً ، فكان قوله : حسداً مصدراً من ذلك المعنى ، وأمّا قوله : من عند أنفسهم ، فإنه يعني بذلك منْ قبل أنفسهم ، كما يقول القائل : لي عندك كذا ، وكذا ، بمعنى لي قبلك . وإنما أخبر الله - جل ثناؤه - عنهم المؤمنين أنهم ودّوا ذلك للمؤمنين من عند أنفسهم ، إعلاماً منه لهم بأنهم لم يؤمروا بذلك في كتابهم ، وأنهم يأتون ما يأتون من ذلك على علم منهم بنهي الله إياهم عنه» (١) .

ويقول سبحانه عن المشركين :

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (الزخرف ٣٢)

---

(١) انظر : جامع البيان ١/ ٣٨٩ المجلد الأول .

يقول ابن جرير – رحمه الله – :

«وقوله : ﴿أهم يقسمون رحمة ربك﴾ ، يقول تعالى ذكره : أهؤلاء القائلون لولا نُزِّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم : يا محمد ، يقسمون رحمة ربِّك بين خلقه ، فيجعلون كرامته لمن شاءوا ، وفضله لمن أرادوا ، أم الله الذي يقسم ذلك ، فيعطيه مَنْ أحب ، ويحرمه مَنْ شاء . . .؟ وقوله : «نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا» ، يقول تعالى ذكره : بل نحن قسمنا رحمتنا وكرامتنا بين مَنْ شئنا منْ خلقنا ، فنجعل من شئنا رسولاً ، ومَنْ أردنا صديقاً ، ونتَّخذ مَنْ أردنا خليلاً ، كما قَسمنا بينهم معيشتهم التي يعيشون بها في حياتهم الدنيا من الأرزاق والأقوات ، فجعلنا بعضهم فيها أرفع من بعض درجةً ، بل جعلنا هذا غنّياً ، وهذا فقيراً ، وهذا ملكاً ، وهذا مملوكاً ،« ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً» [1] .

ويقول ابن كثير – رحمة الله– :

«وقالوا : أي كالمعترضين على الذي أنزله ـ تعالى ، وتقدَّس !ـ :« لولا نُزِّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» : أي هلاَّ كان إنزال هذا القرآن على رجل عظيم : كبير في أعينهم ، من القريتين : مكة والطائف . وقد ذكر غير واحد من السَّلف : أنهم أرادوا بذلك : الوليد بن المغيرة ، وعروة بن مسعود الثقفي . وعن مجاهد : يعنون عتبة بن ربيعة بمكة ، وابن عبد ياليل بالطائف ، وقال السُّدِّي : عنوا بذلك : الوليدبن المغيرة ، وكنانة بن عمرو الثقفي .

والظاهر : أن مرادهم رجل كبير من أي البلدين كان ، قال تعالى ـ رداً عليهم في هذا الاعتراض : «أهم يقسمون رحمة ربِّك؟» أي ليس الأمر مردوداً

(١) انظر : جامع البيان ٢٥/ ٤٠ ، ٤١ المجلد الحادي عشر .

إليهم ، بل إلى الله - عزَّ وجَّل - والله أعلم حيث يجعل رسالته ، فإنه لا ينزلها إلا على أزكى الخلق قلباً ونفساً ، وأشرفهم بيتاً ، وأطهرهم أصلاً ، ثم قال - عزَّ وجَّل - مبيِّناً أنه قد فاوت بين خلقه ، فيما أعطاهم من الأموال والأرزاق والعقول ، والفهوم ، وغير ذلك من القوى الظاهرة والباطنة ـ فقال : (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا . . .) الآية (١) .

ويقول سبحانه عن المشركين أيضاً :

﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَـٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ ﴾ «القلم» .

يقول ابن جرير - رحمه الله- :

«يقول - جل ثناؤه - وإنْ يكاد الذين كفروا يا محمد ، ينفذونك بأبصارهم منْ شدة عداوتهم لك ، ويزيلونك ، فيرموا بك عند نظرهم إليك ، غيظاً عليك ، وقد قيل : إنه عنى بذلك : وأن يكاد الذين كفروا ممَّا عانوك بأبصارهم ليرمون بك يا محمد ، ويصرعونك ، كما تقول العرب : كاد فلان يصرعني بشدَّة نظره إليَّ ، قالوا : وإنما كانت قريش عانوا رسول الله ﷺ ليصيبوه بالعين ، فنظروا إليه ليعينوه ، وقالوا : ما رأينا رجلاً مثله ، أو إنه لمجنون ، فقال الله لنبيِّه عند ذلك : «وإن يكاد الذي كفروا ليرمونك بأبصارهم لـمَّا سمعو الذكر ، ويقولون : إنه لمجنون» ثم ساق من المأثور ما يؤكد ذلك (٢) .

ويقول الماوردي :

«فيه - أي قوله : «ليزلقونك»- ستة أوجه :

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ٤/ ١٢٦ - ١٢٧ بتصرف .
(٢) انظر : جامع البيان ٢٩/ ٢٩ .

أحدها : معناه ، ليصرعونك ، قاله الكلبي .

الثاني : ليرمقونك ، قالة قتادة .

الثالث : ليزهقونك ، قاله ابن عباس ، وكان يقرؤها كذلك .

الرابع : لينفذونك ، قاله مجاهد .

الخامس : ليمسُّونك بأبصارهم ، منْ شدَّة نظرهم إليك ، قاله السُّدِّي .

السادس : ليعتانونك ، أي لينظرونك بأعينهم ، قاله الفراء .

وحكي أنهم قالوا : ما رأينا مثل «حجمه» (١) . ونظروا إليه ليعينوه ، أي ليصيبوه بالعين ، وقد كانت العرب إذا أراد أحدهم أن يصيب أحداً يعني في نفسه ، أو ماله ، تجوَّع ثلاثاً ، ثم يتعرض لنفسه أو ماله ، فيقول : تالله ما رأيت أقوى منه ، ولا أشجع ، ولا أكثر مالاً منه ، ولا أحسن ، فيصيبه بعينه ، فيهلك هو وماله ، فأنزل الله هذه الآية» (٢) .

ويقول الآلوسي - رحمه الله - :

«والمعنى أنهم لشدَّة عداوتهم ينظرون إليك شزراً ، بحيث يكادون يزلون قدَمَك ، فيرمونك ، منْ قولهم : نظر إليَّ نظراً يكاد يصرعني ، أو يكاد يأكلني ، أي لو أمكنه بنظره الصَرع أو الأكل لفعله ، وجعل مبالغة في عداوتهم حتى كأنما سرت من القلب والجوارح إلى النظر ، فعاد يعمل عمل الجوارح ، وأنشدوا قول الشاعر :

يتقارضون إذا التَقَوا في موطن ... نظراً يزل مواطئ الأقدام

أو أنهم يكادون يصيبونك بالعين ، إذ روي أنه كان في بني أسد عيَّانون ، فأراد بعضهم أن يعين رسول الله ﷺ فنزلتْ ، وقال الكلبي : كان رجل من العرب يمكث يومين أو ثلاثة لا يأكل ثم يرفع جانب خبائه ، فيقول : لم أر كاليوم

(١) ولعل الصواب «حُجَّتَهُ» انظر : بدائع التفسير ٥/ ٤١٦ .

(٢) انظر : النكت والعيون ٤/ ٢٨٩ .

إبلاً ولا غنماً أحسن من هذه ، فتسقط طائفة منها ، وتهلك ، فاقترح الكفار منه أن يصيب رسول الله ﷺ فأجابهم وأنشد :

قد كان قومُك يحسبُونَكَ سيّداً وأخالُ أنكَ سيِّدٌ مَعيون

فعصم الله نبيه ﷺ ، وأنزل عليه هذه الآية» (١) .

٢- بسط الدنيا وتنافسها :

وقد يكون من أسباب الحسد والعين : بسط الدنيا وتنافسها : ذلك أن الدنيا إذا أقبلتْ على الناس ، ولم يكونوا على بصيرة بالضوابط التي وضعها الشارع الحكيم للتعامل مع هذ الدنيا ، فإنهم يقعون في شراك التنافس فيها ، ويقودهم هذا التنافس إلى الحسد : وذلك ما لفت النبيُّ ﷺ النظر إليه حين قال :

«إذا فُتِحت عليكم فارس والروم ، أي قومٍ أنتم؟»

قال عبدالرحمن بن عوف : نقول كما أمرنا الله (٢) ، قال رسول الله ﷺ :

««أو غير ذلك ، تتنافسون ، ثم تتحاسدون ، ثم تتدابرون ، ثم تتباغضون ، أو نحو ذلك ، ثم تنطلقون إلى مساكن المهاجرين ، فتجعلون بعضهم على رقاب بعض» (٣) .

---

(١) انظر : روح المعاني ٢٩/ ٣٨ .

(٢) قوله : «نقول كما أمرنا الله» : معناه - كما ذكر النووي في : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١٨/ ٩٦ م٩- : «نحمده ، ونشكره ، ونسأله المزيد من فضله» : - وكما ذكر القرطبي في المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٧/ ١١٤- : «أي نقول قولاً مثل الذي أمرنا الله ، وكأنَّ هذا منه إشارة إلى قوله تعالى : ﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ (آل عمران : ١٧٣) ، وذلك أنه فهم : أن رسول الله ﷺ خاف عليهم الفتتنة من بسط الدنيا عليهم ، فأجابه بذلك ، فكأنَّه قال : «نَسْتكفي الفتن والمحن بالله ، ونقول كما أمرنا الله ، وهذا إخبار منهم عما يقتضيه حالهم في ذلك الوقت ، فأخبرهم النبي ﷺ بأنهم لا يبقون على تلك الحال ،وأنها تتغيَّر بهم» أقول : والرأي : أنه لا تعارض بين التفسيرين ، إذ المسلم يرى أنَّ إقبال الدنيا مثل إدبارها محنة ، بل أشد ، كما قال سليمان ـ عليه السلام ـ حين منَّ الله عليه بما مَنَّ : ﴿قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم﴾ (النمل) ، والواجب عليه حينئذ هو : الحمد ، والشكر بالعطاء ، وسؤاله المزيد من فضله ، وكذلك الاستعانة به ـ سبحانه ـ خشية الافتتان ، واستخدامها في غير مرضاة الحق - تبارك وتعالى - .

(٣) الحديث أخرجه مسلم في : كتاب الزهد والرقائق : باب ما يحذر من بسط الدنيا ، ومن التنافس ٤/ ٢٢٧٤ - ٢٢٧٥ ، رقم ٢٩٦٢ ، وابن ماجه في : السُّنن : كتاب الفتن : باب فتنة المال ٢/ ١٣٢٤ رقم ٣٩٩٦ ، كلاهما من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص ، مرفوعاً ، واللفظ لمسلم ، وقوله : «ثم تنطلقون في مساكن المهاجرين . . .» الحديث ، فسَّره بعضهم : أنه إذا وقع التنافس بينهم والتحاسد . والتباغض : أخذ القويُّ حقَّ المسكين من=

وحين قال :

«فأبشروا ، وأملوا ما يسركم ، فوالله ما الفقرَ أخشى عليكم ، ولكن أخشى أن تُبسط عليكم الدنيا ، كما بُسطتْ على مَنْ قبلكم ، فتنافسوها ، كما تنافسوها ، وتُهلككم ، كما أهلكتهم» [(١)] .

وعن عقبة بن عامر - رضي الله عنه - أن النَّبيَّ ﷺ خرج يوماً فصلَّى على أهل أُحد صلاته على الميت ، ثم انصرف إلى المنبر ، فقال : **«إني فرط لكم ، وإني شهيدٌ عليكم ، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن ، وأني أُعطيت مفاتيح خزائن الأرض ، أو مفاتيح الأرض ، وإني والله ما أخاف عليكم أن تُشركوا**

=المهاجرين الذي لايقدر على مدافعته بالقهر والغلبة ، مستدلاً بسياق الحديث وبرواية السمرقندي : «فيحملون» بدل «فيجعلون» ، ولكن القاضي عياض لم يرض هذا التفسير ، محتجاً : أن هذا كلام مستأنف لا ارتباط له بما قبله ، ثم قال : «والأشبه أن يكون الكلام على وجهه ، وأراد أن مساكين المهاجرين وضعفتهم ستفتح عليهم ـ إذ ذاك ـ الدنيا حتى يكونوا أمراء بعضهم على رقاب بعض» ، ولم يرتض القرطبي إبطال القاضي عياض هذا الرأي ، ولا تفسيره الذي اختاره ، قائلاً : كما في المفهم ٧/ ١١٥ - ١١٦ : «قُلت : والعجب من إنكار القاضي على هذا المتأول ، واختياره هذا المعنى الذي لايقبله مساق الحديث ، ولا يشهد له معناه ، وذلك أن معنى الحديث : أنه أخبرهم أنهم تتغيَّر بهم الحال ، وأنهم يصدر عنهم أو عن بعضهم أحوال غير مُرضية ، تُخالف حالهم التي كانوا عليها معه من التنافس والتباغض ، وانطلاقهم في مساكن المهاجرين ، فلابدَّ أن يكون هذا الوصف غير مرضيٍّ ، كالأوصاف التي قبله ، وأن تكون تلك الأوصاف المتقدمة توجبه ، وحينئذ يلتئم الكلام أوله وآخره ، ولا يصح ذلك إلا بذلك التقدير الذي أنكر القاضي ، فيكون معنى الحديث : أنه إذا وقع التنافس ، والتحاسد ، والتباغض ، حملهم ذلك على أن يأخذ القويُّ ما أفاءه ـ الله تعالى ـ على المسكين الذي لا يقدر على مدافعته ، فيمنعه عنه ظلماً ، وهذا بمقتضى التنافس ، والتحاسد ، التباغض ، ويعضده رواية السمرقندي : «فيحملون بعضهم على رقاب بعض» أي بالقهر والغلبة ، وأما ما اختاره القاضي فغير ملائم للحديث ، فتدبَّرهُ تجده كما أخبرتك ، والله تعالى أعلم» .

(١) الحديث جزء حديث أخرجه البخاري : كتاب الجزية : باب الجزيه والمواعدة ، ٤/ ١١٧-١١٨ ، وكتاب المغازي : باب منه ٥/ ١٠٨ ، وكتاب الرقاق : باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها ٨/ ١١٢ ، ومسلم : كتاب الزهد والرقائق : باب ما يحذر من بسط الدنيا ومن التنافس ٤/ ٢٢٧٣ رقم ٢٩٦١ ، والترمذي : كتاب صفة القيامة . . باب منه ٤/ ٥٥٢ -٥٥٣ رقم ٢٤٦٢ ، وابن ماجه : كتاب الفتن : باب فتنة المال ٢/ ١٣٢٤ -١٣٢٥ رقم ٣٩٩٧ ، وأحمد : ٤/ ١٣٧ ، ٣٢٧ ، كلهم من حديث عمرو بن عوف الأنصاري - وهو حليف لبني عامر بن لؤى ، وكان شهد بدراً - أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتها ، وكان رسول الله ﷺ قد صالح أهل البحرين ، وأمَّر عليهم العلاء بن الحضرمي ، فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين ، فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة ، فوافت صلاة الصبح مع النَّبي ﷺ ، فلما صلى بهم الفجر انصرف ، فتعرضوا له ، فتبسَّم رسول الله ﷺ حين رآهم ، وقال : «أظنكم قد سمعتم أن أبا عبيدة قد جاء بشيء؟» قالوا : أجل يا رسول الله ، قال : «فأبشروا . . . .» الحديث ، وعقب الترمذي على روايته بقوله : «هذا حديث حسن صحيح» .

بعدي ، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها» [1] .

وعن أبي سعيد الخدريِّ - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : «**أخوف ما أخاف عليكم ما يُخرج الله لكم مِنْ زهرة الدنيا**» قالوا : وما زهرة الدنيا يا رسول الله؟ قال : «**بركات الأرض . . .**» الحديث [2] .

وقد علّق العلاَّمة القرطبي على حديث عبدالرحمن بن عوف بقوله : «أي : تتسابقون إلى أخذ الدنيا ، ثم تتحاسدون بعد الأخذ ، ثم تتقاطعون فيولّي كل واحد منكم دبره عن الآخر ، معرضاً عنه ، ثم تثبُت البغضاء في القلوب ، وتتراكم حتى يكون عنها الخلاف ، والقتال ، والهلاك ، كما قد وجد» [3] .

كما علّق عليه الإمام النووي بقوله :

«قال العلماء : التنافس إلى الشيء : المسابقة إليه ، وكراهة أخذ غيرك إيَّاه ، وهو أول درجات الحسد . . .» [4] .

٣- الاستعلاء والتكبر :

وقد يكون السبب في الحسد إنَّما هو الاستعلاء والتكبر ذلك أنَّ مَنْ يستعلي أو يتكبر في الأرض بغير الحقِّ لا يحبُّ أن يرى أحداً فوقه أو أعلى منه ، ولئن

---

(١) الحديث أخرجه البخاري كتاب الجنائز : بال الصلاة على الشهيد ٢/ ١١٤-١١٥ ، وكتاب المناقب : باب علامات النبوة في الاسلام ٤/ ٢٤٠ ، وكتاب المغازي : باب غزوة أحد ، وباب أحد جبل يحبنا ٥/ ١٢٠ ، ١٣٢ ، وكتاب الرقاق : باب في الحوض ٨/ ١٥١ ، ومسلم كتاب الفضائل : باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته ٤/ ١٧٩٥ - ١٧٩٦ رقم ٢٢٩٦/ ٣٠-٣١ ، وأحمد ٤/ ١٤٩ ، كلهم من حديث عقبة بن عامر - رضي الله عنه - مرفوعاً ، واللفظ للبخاري .

(٢) الحديث جزء حديث طويل أخرجه البخاري : كتاب الزكاة : باب الصدقة على اليتامى ٢/ ١٤٩-١٥٠ ، وكتاب الجهاد : باب فضل النفقة في سبيل الله ٤/ ٣٢ ، ومسلم كتاب الفضائل : باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا ٢/ ٧٢٧-٧٢٩ رقم ١٠٥٢/ ١٢١-١٢٣ ، والنسائي في (الصغرى) : كتاب الزكاة : باب الصدقة على اليتميم ٥٠/ ٩٠-٩١ (الكبرى) ٢/ ٤٨ رقم ٢٣٦٢ ، وابن ماجه : كتاب الفتن : باب فتنة المال ٢/ ١٣٢٣ رقم ٣٩٩٥ ، وأحمد في : المسند ٣/ ٧ ، ٢١ ، ٩١ ، كلهم من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - مرفوعاً ، واللفظ للبخاري .

(٣) انظر : المفهم لما أشكل منْ تلخيص كتاب مسلم ٧/ ١١٤ .

(٤) انظر : المنهاج في شرَح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي ١٨/ ٩٦م٩ .

رأى مَنْ يفوقه أو يتقدم عليه ، وهو غير قادر على مضاهاته أو مساواته فإنه يحقد عليه ، وبمرور الزمن يتحول الحقد إلى حسد ، ولعل هذا من السَّيْر في سبيل الغيِّ الذي هو دأب المتكبرِّين ، قال تعالى :

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ (١٤٦) ﴾ «الأعراف» .

ولعلَّ منه أيضاً : امتناع إبليس من السجود لآدم ، استعلاءً وتكبراً ، بدعوى أنه خير منه ، من حيث إن الله خلقه من نار ، وآدم من طين ، وعنده أن النار أفضل من الطين ، قال تعالى :

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ (٧٤) قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ (٧٦) ﴾ «ص» .

وقال تعالى :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ (٣٤) ﴾ «البقرة» .

وقد نقل أبو الليث السمرقندي تلميح بعض الحكماء إلى ذلك ، ثم عقب عليه بما يجلّيه ويوضحه فقال : «وقال بعض الحكماء : إياكم والحسد ، فإن الحسد أول ذنب عُصي الله ـ تعالى ـ به في السَّماء ، وأول ذنب عُصي الله تعالى به في الأرض ، وإنَّما أراد بقوله : أول ذنب عُصي الله تعالى به في السَّماء ، يعني : إبليس ، حين أبى أن يسجد لادم ، وقال : ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ ، فحسده ، فلعنه الله ـ تعالى ـ بذلك .

وأمَّا الذي عصى الله تعالى به في الأرض فهو : قابيل بن آدم ، حين قَتَلَ أخاه هابيل حسداً ، وهو قوله تعالى :

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ «المائدة»(١) .

٤ -العداوة والبغضاء مع عدم القدرة على الانتقام :

وقد تكون العداوة والبغضاء مع عدم القدرة على الانتقام من بين الأسباب أو البواعث التي تدفع إلى الحسد .

وهذا ما لفت الحق - تبارك وتعالى - النظر إليه في قوله سبحانه :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَـٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا .. ﴾ «آل عمران

يقول الآلوسي - رحمه الله - :

«إن تمسسكم» أيها الذين آمنوا ، «حسنة» : نعمة من ربِّكم ، كالألفة ، واجتماع الكلمة ، والظفر بالأعداء «تسؤهم» أي تحزنهم ، وتغظهم ، «وإن تصبكم سيئة» أي محنة ، كإصابة العدو منكم ، واختلاف الكلمة فيما بينكم «يفرحوا» ، أي «يبتهجوا بها» ، وفي ذلك إشارة إلى تناهي عداوتهم إلى حدِّ الحسد ، والشماتة» (٢) .

---

(١) انظر : تنبيه الغافلين بأحاديث سيِّد الأنبياء والمرسلين : باب الحسد ص ١٣٨-١٣٩ .

(٢) انظر : روح المعاني ٤/ ٤٠ م٢ .

ولفت النبي ﷺ النظر إليه في قوله في حديث أنس بن مالك :

«لا تباغضوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانا ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث» (١) .

وعن أبي هريرة أن النَّبي ﷺ قال :

لا تقاطعوا ، ولا تدابروا ، ولا تباغضوا ، ولا تحاسدوا ، وكونوا إخوانا ، كما أمركم الله» (٢) .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري : كتاب الأدب : باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر ، وقوله تعالى ﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾ ٨/ ٣٣ عن أنس ، وباب الهجرة ، وقول رسول الله ﷺ : «لايحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث» ٨/ ٢٥-٢٦ ومسلم : كتاب البرِّ والصلة والآداب : باب تحريم التحاسد ، والتباغض ، والتدابر ٤/ ١٩٨٣ رقم ٢٥٥٩/ ٢٣ وأبو داود في : السنن : كتاب الأدب : باب فيمن يهجر أخاه المسلم ٥/ ٢١٣-٢١٤ رقم ٤٩١٠ عن : أنس أن النبي ﷺ قال : «لاتباغضوا ، ولاتحاسَدوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخواناً . . .» الحديث ، والترمذي : كتاب البر والصلة : باب ماجاء في الحسد ٤/ ٢٩٠ - ٢٩١ ، رقم ١٩٣٥ عن أنس مرفوعاً : «لا تقاطعوا ولا تدابروا ، ولا تباغضوا ، ولا تحاسدوا ، وكونوا عباد الله إخواناً ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث» ، وعقّب عليه بقوله : «هذاحديث حسن صحيح ، وفي الباب عن أبي بكر الصديق ، والزبير بن العوام ، وابن مسعود ، وأبي هريرة» ومالك : كتاب حُسن الخُلق : باب ما جاء في المهاجرة ص ٥٦٦ رقم ١٤ عن ابن شهاب ، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : «لا تباغضوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخواناً ، ولا يحلّ لمسلم أن يهاجر أخاه فوق ثلاث ليال» .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في : كتاب البر والصلة والآداب : باب تحريم الظنِّ والتجسس ، والتنافس ، والتناجش ونحوها ٤/ ١٩٨٦ ، عن أبي هريرة مرفوعاً بهذا اللفظ ، والبخاري في : كتاب النكاح : باب لايخطب على خطبة أخيه حتى ينكح ، أو يدع ٧/ ٢٤ قال أبو هريرة ـ يأثر عن النبي ﷺ ـ قال : «إياكم والظن فإن الظنَّ ، أكذب الحديث ، ولا تجسسوا ، ولاتحسسوا ، ولا تباغضوا ، وكونوا إخواناً ، ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه ، حتى ينكح ، أو يترك» ، وكتاب الفرائض : باب تعليم الفرائض ، وقال عقبة بن عامر : تعلموا قبل الظانين ، يعني : الذين يتكلمون بالظنَّ ٨/ ١٨٥ ، عن أبي هريرة : «إياكم والظنَّ ، فإنَّ الظنَّ أكذب الحديث ، ولاتحسسوا ، ولا تجسسوا ، ولا تباغضوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخواناً» ، وكتاب الأدب : باب ما ينهى عن التحاسد ، والتدابر ، وقوله تعالى : ﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾ ، ٨/ ٢٣ ، عن أبي هريرة مرفوعاً ، : «إياكم والظنَّ ، فإن الظنَّ اكذب الحديث ، ولاتحسسوا ، ولا تجسسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ، ولا تباغضوا ، وكونوا عباد اله إخواناً» ، وباب ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا﴾ ٨/ ٢٣ ، عن أبي هريرة مرفوعاً : «إياكم والظنَّ ، فإن الظنَّ اكذب الحديث ، ولاتجَسسوا ، ولا تحسسوا ، ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ، ولا تباغضوا ، وكونوا عباد اله إخواناً» .

ومسلم في : كتاب البر والصلة والآداب : باب تحريم الظنِّ ، والتجسس ، والتنافس ، والتناجش ، ونحوها / ١٩٨٥ ٤ رقم ٢٥٦٣/ ٢٨ ، عن أبي هريرة مرفوعاً : «إياكم والظنَّ ، فإن الظنَّ اكذب الحديث ، ولاتحسسوا ، ولا تجسسوا ، ولا تنافسواولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ، ولا تباغضوا ، وكونوا عباد اله إخواناً» .

وأبو داود في : كتاب الأدب : باب في الظنِّ ٥/ ٢١٦-٢١٧ ، عن أبي هريرة مرفوعاً : «إياكم والظنَّ ، فإنَّ الظن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا ، ولا تجسسوا» .

والترمذي في : كتاب البرِّ والصلة : باب ما جاء في ظنِّ السوء ٤/ ٣١٣ رقم ١٩٨٨ ، عن أبي هريرة=

يقول أبو حامد الغزالي - رحمه الله - تصويراً لهذا السبب ، وكيف يؤدي إلى الحسد :

«العداوة والبغضاء ، وهما أشد أسباب الحسد ، فإن مَنْ آذاه شخص بسبب من الأسباب ، وخالفه في غرض لوجه من الوجوه أبغضه قلبه ، وغضب عليه ، ورسخ في نفسه الحقد ، والحقد يقتضي التشفّي والانتقام ، فإن عجز المبغض عن أن يتشفّى بنفسه أحب أن يتشفّى منه الزّمان ، وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله ـ تعالى ـ ، فمهما أصابت عدوّه بليّة فرح بها ، وظنّها مكافأةً له من جهة الله على بغضه ، وأنها لأجله ، ومهما أصابته نعمة ساءه ذلك ، لأنها ضد مراده ، وربما يخطر له أنه لا منزلة له عند الله ، حيث لم ينتقم له من عدوِّه الذي آذاه ، بل أنعم عليه ، وبالجملة فالحسد يلزم البغض والعداوة ، ولا يفارقهما ،

=مرفوعاً :«إياكم والظنَّ ، فإن الظنَّ أكذب الحديث» وعقّب عليه بقوله : «هذا حديث حسن صحيح» .
ومسلم في : الصحيح : كتاب البر والصلة والآداب : باب تحريم الظنِّ والتجسس ٤/ ١٩٨٥ رقم٢٥٦٣/ ٢٩ عن أبي هريرة مرفوعاً : «لا تهجروا - وفي رواية :« لا تهاجروا - ولا تدابروا ، ولا تحسسوا ، ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخواناً» ، عن أبي هريرة مرفوعاً : «لا تحاسدوا ولا تباغضوا ، ولا تجسسوا ، ولا تحسسوا ، ولا تناجشوا ، وكونوا عباد الله إخواناً» عن أبي هريرة مرفوعاً : «لا تباغضوا ، ولا تدابروا ، ولا تنافسوا ، وكونوا عباد الله إخوانا» ٤/ ١٩٨٦ رقم ٢٥٦٣/ ٣١ ، وباب تحريم ظلم المسلم وخذله ، واحتقاره ، ودمه ، وعرضه ، وماله / ١٩٨٦ ٤ رقم ٢٥٦٤/ ٣٢ - عن أبي هريرة مرفوعاً «لا تحاسدوا ولا تناجشوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخوانا ، المسلم أخو المسلم ، لايظلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره ، التقوى ههنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرئ من الشرِّ أن يحقره أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه»- عن أبي هريرة مرفوعاً : نحوه ، وزاد ونقص ، ومما زاد فيه : «إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ، ولا إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم» ، وأشار بأصابعه إلى صدره ، وابن ماجه في : كتاب الزهد : باب البغي ٢/ ١٤٠٩ رقم ٤٢١٣ ، عن أبي هريرة مرفوعاً : «حسب امريء من الشرِّ أن يحقر أخاه المسلم» ، وكتاب الفتن : باب حرمة دم المؤمن وماله ٢/ ١٢٩٨ رقم ٣٩٣٣ ، عن أبي هريرة مرفوعاً : «كل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه» .
وأخرج ابنَ ماجه : في كتاب الدعاء : باب الدعاء بالعفو والعافية ٢/ ١٢٦٥ رقم ٣٨٤٩ عن أوسط بن إسماعيل البجلي : أنه سمع أبابكر حين قبض النبيِّ ﷺ يقول : قام رسول الله ﷺ في مقامي هذا عام الأول - ثم بكى أبو بكر - ثم قال : «عليكم بالصدق ، فإنه مع البرِّ ، وهما في الجنَّة ، واياكم والكذب ، فإنه مع الفجور ، وهما في النَّار ، وسلو الله المعافاة ، فإنه لم يؤت أحد بعد اليقين خيراً من المعافاة ، ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تقاطعوا ، ولا تدابروا ، وكونوا : عباد الله اخوانا» ، والنسائي في : السُّنن الكبرى : كتاب عمل اليوم والليلة : باب مسألة المعافاة ٦/ ٢٢٠- ٢٢٢ رقم ١٠٧١٥ - ١٠٧٢٤/ ١-١٠ من عدَّة طرق إلى أبي بكر ، وبألفاظ متفاوتة ، ومالك في : كتاب حسن الخلق : باب ماجاء في المهاجرة ص ٥٦٦ رقم ١٥ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «إياكم والظنَّ ، فإن الظنَّ أكذب الحديث ، ولا تجسسوا ، ولاتحسسوا ، ولا تنافسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانا» .

وإنما غاية التقى ألا يبغي ، وأن يكره ذلك من نفسه ، فأمَّا أن يبغض إنساناً ، ثم تستوي عنده مسرته ومساءته ، فهذا غير ممكن ، وهذا مما وصف الله تعالى الكفَّار به ، أعني : الحسد بالعداوة ، إذ قال الله تعالى

﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (١١٩) إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ... ﴾ «آل عمران : ١١٩, ١٢٠» .

وكذلك قال :

﴿ وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُۚ ﴾ «آل عمران : ١١٨» .

والحسد بسبب البغض ربما يفضي إلى التنازع ، والتقاتل ، واستغراق العمر في إزالة النعمة بالحيل ، والسعاية ، وهتك الستر ، وما يجري مجراه» (١) .

٥ - استحسان الشيء والإعجاب به :

وقد يكون استحسان الشيء ، والإعجاب به من بين الأسباب المؤدية إلى الحسد أو العين .

ذلك أن الناظر يرى الشيء رؤية إعجاب به أو استعظام ، فتتكيَّف روحه بكيفية خاصة تؤثر في المعين ـ بإذن الله ـ ومشيئته ، وهذا هو الذي يعرفه الناس من رؤية العين ، فإنهم يستحسنون الشيء ويُعجبون منه فيُصاب بذلك» (٢) .

وتقدم حديث سهل بن حنيف حين حسده ورماه بالعين من شدة إعجابه واستحسانه ببياض جلده : عامر بن ربيعة .

---

(١) انظر : إحياء علوم الدين ٣/ ١٩٢ - ١٩٣ .

(٢) انظر : بدائع الفوائد لابن القيم ٢/ ٢٣٢ بتصرف .

٦- عدم الاستعاذة والتحصن من شرِّ الحاسد والعائن :

وقد يكون عدم الاستعاذة والتحصُّن من شرِّ الحاسد والعائن من بين الأسباب المؤدية إلى الحسد والعين .

ذلك أن ذكر الله حصانة من كلِّ شيء مؤذٍ لا سيما الحاسد ، والعائن ، كما قال النبي ﷺ :

«إن الله - عزَّ وجَلَّ - أمر يحيى بن زكريا - عليه السلام - بخمس كلمات أن يعمل بهنَّ ، وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهنَّ ، وكاد أن يبطيء ، فقال له عيسى : إنك قد أُمرتَ بخمس كلمات أن تعمل بهنَّ ، وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهنَّ ، فإمَّا أن تبلِّغهُنَّ ، وإمَّا أن أُبَلِّغهنَّ ، فقال : يا أخي ، إني أخشى إن سبقتني أن أعذَّب ، أو يُخسف بي ، قال : فجمع يحيى بني إسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد ، فقعد على الشُّرف ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : إن الله - عزَّ وجلَّ - أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهنَّ ، وآمركم أن تعملوا بهنَّ ، وساق الخمس ومنها :

وآمركم بذكر الله - عزَّ وجَلَّ - كثيراً ، وإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدوَّ سراعاً في أثره ، فأتى حصناً حصيناً فتحصَّن فيه ، وإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان ، إذا كان في ذكر الله - عزَّوجَلَّ - .»

فقال رسول الله ﷺ وأنا آمركم بخمس ، الله أمرني بهنَّ : بالجماعة ، والسمع ، والطاعة ، والهجرة ، والجهاد في سبيل الله . . . الحديث» [١] .

٧- البُخل أو الشُّحُّ :

وقد يكون البخل أو الشُّحُّ من بين الأسباب المؤدية إلى الحسد أو العين ،

(١) الحديث أخرجه أحمد ٤/ ١٣٠، ٢٠٢ من حديث الحارث الأشعري مرفوعاً به .

ذلك أن البخيل أو الشحيح يكرهه الناس ، وقد تنتهي الكراهية ـ غالباً ـ إلى الحسد أو العين .

وهذا هو المفهوم من قوله تعالى :

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٠٣) ﴾ «التوبة»

يقول ابن القيِّم – رحمه الله – :

«فالمحسن المتصدق يستخدم جنداً وعسكراً يقاتلون عنه وهو نائم على فراشه ، فمَنْ لم يكن له جند ولاعسكر ، وله عدوٌّ ، فإنَّه يوشك أن يظفر به عدوُّه ، وإن تأخَّرتْ مدَّة الظفر» (١) .

ويقول القرضاوي :

«والزَّكاة لآخذها ـ أيضاً ـ : تطيهر من داء الحسد ، والكراهية ، فالإنسان إذا عضَّتْهُ أنياب الفقر ، ودهته داهية الحاجة ، ورأى مَنْ حوله ينعمون بالخير ، ويعيشون في الرَّغد ، ولايمدُّون له يداً بالعون ، بل يتركونه لمخالب الفقر وأنيابه ، هذا الإنسان لا يسلم قلبه من البغضاء والضَّغينة على مجتمع يهمله ، ولا يُعْنَى بأمره ، وتربة الشحِّ والأنانية لا تنبت إلا الحقد والحسد لكلِّ ذي نعمة» (٢) .

٨- التفريق في المعاملة :

وقد يكون التفريق في المعاملة من بين الأسباب المؤدية إلى الحسد ، والعين ، ذلك أن الإنسان يحبُّ أنْ يعامله الناس بمبدأ المساواة والمماثلة لأقرانه وأترابه ، فإذا رأى ظلماً وتفريقاً في المعاملة ، ولا يستطيع الانتقام لسبب أو لآخر

(١) انظر : بدائع الفوائد ٢/ ٢٤٣ .
(٢) انظر : فقه الزكاة ٢/ ٨٧٦ .

عوَّض عن ذلك بالحسد والعين . وهذا أكثر مايكون بين الضرائر ، وبين الأولاد ، وبين المرؤسين مع المسؤولين عنهم ، أو رؤسائهم .

٩- عدم التزام الحاسد أو العائن بحقيقة وآداب الشرع الحنيف :

وقد يكون عدم التزام الحاسد أو العائن بحقيقة وآداب الشرع الحنيف من قوله - إذا رأى شيئاً يعجبه - : «بسم الله ، ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله» ، «الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات» ، وقراءة : المُعوِّذتين ، والإخلاص ، وآية الكرسي ، وفاتحة الكتاب ، ونحوها - من أسباب الوقوع في الحسد أو العين ، إذ جاء في الحديث : أن النبي ﷺ قال : «**إذا رأى أحدكم من أخيه ما يعجبه ، فَلْيَدْعُ له بالبركة**»[١] .

ومفهومه : أنَّه إذا لم يَدْعُ ربه بذلك ربما وقع ما لا يُحمد عُقباه ، وكان الحسد والعين .

١٠- الغفلة عن عواقب الحسد والعين :

وقد تكون الغفلة عن عواقب الحسد والعين من بين الأسباب المؤدية إلى الحسد والعين ، ذلك أن مَنْ جَهِلَ عواقب أمرٍ - مَّا - أتى هذا الأمر من غير أن يلوي على شيء .

---

(١) الحديث جزء من حديث طويل تقدم لفظه ، وتخريجه في الفصل الأول .

الفصل الخامس

آثار الحسد والعين في ضوء السنة النبوية

وللحسد والعين آثار ضارَّة ، وعواقب مهلكة ، تصيب الفرد والجماعة ، وتتجاوز الدنيا في الحاسد والعائن إلى الآخرة ، ويحسن صياغتها في هذين المبحثين :

المبحث الأول

آثار الحسد والعين على الحاسد والعاين

١ - القلق والاضطراب النفسي :

ذلك أنَّهما بعيدان عن الله ، غير راضيين بقسمته ، وأقل مايعاقب به مَنْ كان على هذا الحال : القلق والاضطراب النفسي ، كما قال سبحانه في شأن الأنصار : ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا.... ﴾ (الحشر :٩) .

يقول أبو حامد الغزالي بعد ذكر هذه الآية : «أي لا تضييق صدورهم به ، ولا يغتمون ، فأثنى عليهم بعدم الحسد» [١] .

٢ - ملازمة الهموم والغموم له :

ذلك أنَّ الأمور تسير بتقدير من الله العليم الحكيم ، وليس بهوى الحاسد والعائن ، وماعُرفَ أنَّ الله استجاب لهذا الصنف من الناس الذي يحقد على الناس بالباطل ، وحوَّل النعمة من الغير إليهم ، بل يتركهم هكذا في همومهم وغمومهم يتلظون ، ويصطلون .

(١) انظر :إحياء علوم الدين ٣/ ١٩٠ .

٣ - الذهاب بالحسنات إنْ كانتْ حسنات :

ذلك أن الحاسد أو العاين ربما تكون له حسنات لبعض الطاعات ولكنَّه بالحسد والعين يضيِّع هذه الحسنات أولاً بأول ، فيكون أشبه مايكون بالسفَّيه ، لديه من المال الشيء الكثير ، ويبدده كل يوم هنا وهناك ، وقد ورد حديث ضعيف في هذا المعنى: «**إياكم والحسد ، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أو العشب**»(١) .

٤ - سوء العقبى :

وهذا بدهي ، فإنَّ مَنْ كانتْ حياته على النحو الذي تقدم تسوء عاقبته ، ويلقى من العقاب مايلقى ، جزاءً وفاقاً ، ومارَبُّك بظلام للعبيد .

قال تعالى : ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾ (النساء :١٢٣) .

﴿ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ﴾ (فُصِّلَت :٤٦ ، والجاثية :١٥) .

بل أقلُّ مايُقال : إنه يتحمل إثم مَنْ ألحق بهم أذىً أو ضرراً ، وتنتهي به الآثام إلى سوء العقبى .

المبحث الثاني

آثار الحسد والعين على المحسود والمعيون

١ - الضُّرُّ والأذى :

ذلك أن الحسد أو العين يلحقان بالمحسود والمعيون ضرراً وأذىً - إن أراد

(١) الحديث أخرجه أبو داود : كتاب الأدب : باب في الحسد ٥/ ٢٠٨-٢٠٩ رقم ٤٩٠٣ من حديث إبراهيم بن أبي أسيد عن جده عن أبي هريرة مرفوعاً به ، وفيه جهالة الجد .

اللـه - يتـمـثل في مـرض بـدني ، أو نفسي ، أو همـا مـعـاً ، أو نكبـة في مـال ، أو أهل ، أو ولد ، أو وظيفـة ، أو عشيـرة ، أو وجاهة ، أو نحـو ذلك ، وقد تكون هذه جميعاً ، يعني الضر والأذى يكونان مؤلفين من كل هذه الصور .

٢ - القعود عن العمل وأداء الواجب :

ذلك أن مَنْ نـزل به ضـرٌّ أو أذىً ، ولـم يكن مـؤهـلاً لمثل هذا الـضـر والأذىٰ يقعـد عن العـمل وأداء الواجب ، الأمـر الذي يؤدي إلىٰ تأخـر الأمـة ، وانحطاط الجماعة ، ويفتح الباب لتمكن الأعداء ، وسيادتهم على هذه الأمة ومقدرَّاتها .

٣ - كراهية الحاسد أو العائن :

لا شكَّ أنَّ مَنْ تأكـد له بالدليل اليقيني القطعي أن فـلاناً كـان سبباً في إنزال ضـرٍّ أو أذى به : يتوجه إليه بالكُرْه ، والبغـضـاء ، بل بالفـرقـة والقطيعـة ، وحينئذ تسنح الـفـرصـة للأعـداء بالدخـول والسـيطرة ، وتحقـيق مـا يريدون من مكائد ، ومخططات .

٤ - السعي للثأر والانتقام :

وقـد لا يكـتفي المحسـود أو المعـيون بـالكراهيـة ، بل يتـجـاوز ذلك إلـى الثأر والانتـقـام هو أو ذووه ، ويكون مـا لا تُحـمد عُقبـاه : من القطيـعـة وخسـارة الأمـة لعناصر بشرية كان مأمولاً مِنْ ورائها أن تساعد في نهضتها وتقدُّمها .

٥ - فتح باب جديد لتحصيل الأجر والثواب :

وقد يكـون المحسـود أو المعيـون منْ قوَّة الإيمان واليقين بحيث يجـاهد نفسه ، ويحملهـا على الرضـا بقـضـاء الله وقَدره ، ويأتي مـزيداً من الطاعـات والقـربات بغية أن يصرف الله - عزَّ وجَّل - عنه ، ويعافيه ، فيكتب له من الأجر والثواب ما

لا يعلمه إلا الله ، كما قال الله - عزَّ وجَّل - :

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ «الزُمَر» .

وكما قال النبيﷺ : «عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كلّه خير ، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصباته سراء شكر ، فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له» (١) .

وما أجمل قول بعض الحكماء في الطرفين جميعاً : الحاسد والمحسود ، والعائن والمعيون :

«بَارَزَ الحاسد ربَّه من خمسة أوجه :

أحدها : أنَّه أبغض كلِ نعمة ظهرتْ على غيره .

ثانيها : أنَّه ساخط لقسمة ربِّه ، كأنه يقول : لِمَ قسمتَ هذه القسمة؟ .

ثالثها : أنَّه ضادَّ فعل الله ، أي أن فضل الله يؤتيه مَنْ يشاء وهو يبخل بفضل الله .

ورابعها : أنَّه خذل أولياء الله ، أو يريد خذلانهم وزوال النعمة عنهم .

وخامسها : أنَّه أعان عدوَّه إبليس» (٢) .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم : كتاب الزهد والرقائق : باب المؤمن أمره كله خير ٤/ ٢٢٩٥ رقم ٢٩٩٩/ ٦٤ ، والدارمي : كتاب الرقائق : باب المؤمن يُؤجر في كلِّ شيء ٢/ ٣١٨ ، كلاهما من حديث صهيب مرفوعاً ، وأحمد ٥/ ٢٤ من حديث أنس مختصراً ، واللفظ لمسلم .

(٢) انظر : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي ٦/ ٩٧ ، وفيض القدير للمناوي ٣/ ١٢٥ .

الفصل السادس

حول الوقاية والعلاج من الحسد والعين

في ضوء السنة النبوية

وإذ قد تم التعرف على ماهية الحسد والعين ، وحكمهما ، وتأثيرهما ، وأسبابهما ، وآثارهما : فإنَّه يصبح من السهل رسم طريق الوقاية والعلاج على هذا النحو :

المبحث الأول

الوقاية من الحسد والعين في ضوء السنة النبوية

ويمكن الوقاية من الحسد والعين باتباع هذه الخطوات :

١ - التحصُّن بالله والتعوذ به سبحانه وتعالى :

وذلك بالمواظبة على ذكر الله بعموم ، والاستعاذة من شرِّ الحاسد إذا حسد ، وكذلك العائن بخصوص ، فإن هذا الذكر أكبر حماية وحصانة للعبد من شرِّ شياطين الجن ، وشياطين الأنس .

وقد أمر الله بذلك في قوله :

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾ .

٢ - تقوى الله - عزَّ وجلَّ - :

المتمثلة في توحيده سبحانه ، والإقلاع عن المعاصي ، والمواظبة على فعل الطاعات ، قال تعالى :

﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ﴾ «آل عمران : ١٢٠» .

وقال ﷺ لابن عمِّه : عبدالله بن عباس :

«احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك» (١) .

٣- الصبر والتحمل :

فلا يحدّث نفسه بأذى الحاسد أصلاً، ولا يقاتله، ولا يشكوه، وتمادي الحاسد والعائن يكون سبباً في هلاكه، من حيث لا يدري ولا يشعر .

يقول ابن القيِّم - رحمه الله - :

«السبب الثالث : الصبر على عدوِّه، وألا يقاتله، ولا يشكوه، ولا يحدّث نفسه بأذاه أصلاً، فما نُصر على حاسده، وعدوِّه بمثل الصبر عليه، والتوكل على الله، ولا يستطل تأخيره، وبغيه، فإنه كلّما بغى عليه كان بغيه جنداً، وقوّةً للمبغي عليه المحسود، يقاتل به الباغي نفسه، وهو لا يشعر، فبغيه سهام يرميها مِنْ نفسه إلى نفسه، ولو رأى المبغيُّ عليه ذلك لسرَّه بغيه عليه، ولكن لضعف بصيرته لا يرى إلا صورة البغي دون آخره ومآله، وقد قال تعالى :

﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ «الحج : ٦٠» .

فإذا كان الله قد ضمن له النصر مع أنه قد استوفى حقَّه أولاً، فكيف بمن لم يستوف شيئاً مِنْ حقِّه، بل بُغِي عليه وهو صابر، وما مِنْ ذنب أسرع عقوبة من البغي، وقطيعةَ الرحم، وقد سبقتْ سُنَّة الله : أنه لو بَغَى جبلٌ على جبل جعل الباغي منهما دكّاً» (٢) .

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي : كتاب صفة القيامة : باب منه ٤/ ٥٧٥-٥٧٦ برقم ٢٥١٦ من حديث ابن عباس- رضي الله عنهما- بلفظ : «كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً فقال : يا غلام إنّي أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعت على أن يضرُّوك بشيء لم يضرُّوك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفِعَت الأقلام، وجفَّت الصُّحف» وعقّب عليه بقوله : «هذا حديث حسن صحيح» وأحمد ١/ ٢٩٣، ٣٠٣، ٣٠٧، ٣٠٨، من حديث ابن عباس مرفوعاً به، بنحوه .

(٢) انظر : بدائع الفوائد لابن القيِّم ٢/ ٢٤١ .

٤- التوكل على الله :

وذلك بالأخذ بالأسباب التي مضتْ ، مع الاعتماد التام على الله - عزَّوجَّل - فإن هذا التوكُّل بهذه الصورة من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد مالا يطيق من أذى الخلق ، وظلمهم ، وعدوانهم ، قال تعالى :

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ (الطلاق :٣) .

وقد قيل : «لو توكَّلَ العبدُ على الله حقَّ توكله ، وكادته السموات والأرض ، ومَنْ فيهنَّ ، لجعل الله له مخرجاً منْ ذلك ، وكفاه ونصره» (١) .

٥- التوبة النصوح :

بأن يتذكر نعمة الله عليه ، وسوء أدبه مع هذه النعمة ، حيث استخدمها في معصية الله - عزَّ وجَّل - فينقدح في قلبه الخوف من الله ومن عقابه فيقلع ، ويرد المظالم إلى أصحابها فوراً ، ويعزم عزماً أكيداً ألاَّ يعود وإن قُطِّع وحُرِّق بالنار ، عند ذلك يكون العفو عنه من الله وصرف كيد الحُسَّاد والعيَّانين .

قال تعالى :

﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ﴾(هود :٣) .

وقال تعالى :

﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ (النور) .

٦- الاحسان إلى الحاسد والعائن :

وذلك بالكلمة الطيبة ، والهدية ، والصدقة ، وإطعام الطعام ، والاحترام

(١) انظر : بدائع الفوائد لابن القيّم ٢/ ٢٤١ .

والسؤال ، والتهنئة بنعمة ، والمواساة في الشدة ، والإفساح في المجلس ، وطلاقة الوجه ، ونحوها ، قال تعالى :

﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) ﴾ (فُصِّلَت) .

وقال تعالى :

﴿ وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٥٤) ﴾ (القصص) .

ووجه الدلالة : أن الإحسان يستلُّ سخائم النفوس وحقدها فإذا هي تتحول من عدوٍّ إلى صديق .

المبحث الثاني

علاج الحسد والعين في ضوء السُّنَّة النبويَّة

ويتلخص علاج الحسد والعين في اتباع هذه الخطوات :

١-الرُّقية بالمشروع :

إذ كان جبريل - عليه السلام - يرقي رسول الله ﷺ ، وأمر النبي ﷺ بها .

عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت : كان إذا اشتكى رسول الله ﷺ رقاه جبريل ، قال : «باسم الله يُبْريك ، ومن كلِّ داءٍ يشفيك ، ومن شرِّ حاسدٍ إذا حسد ، وشرِّ كل ذي عين» (١) .

وعن أبي سعيد : أن جبريل أتى النبيَّ ﷺ فقال : يا محمد اشتكيتَ؟ فقال :

---

(١) الحديث أخرجه مسلم : كتاب السلام : باب الطب والمرض والرقى ٤/ ١٧١٨ رقم ٢١٨٥/ ٣٩ من حديث عائشة مرفوعاً بهذا اللفظ .

«**نعم**» ، قال : «باسم الله أرقيك من كلِّ شيء يؤذيك ، مِنْ شرِّ كلِّ نفسٍ أوعين حاسد ، الله يشفيك ، باسم الله أرقيك» (١) .

وعن عائشة - رضي الله عنها - : «أن النبيَّ ﷺ كان يَنْفُثُ على نفسه - في المرض الذي مات فيه - بالمعوِّذات - فلما ثقل كنتُ أنفث عليه بهنَّ ، وأمسح بيده نفسه لبركتها» (٢) .

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : أمرني رسول الله ﷺ - أو أمر - أن يسترقي من العين» (٣) .

وعن أمّ سَلمة - رضي الله عنها - أن النبيَّ ﷺ رأى في بيتها جاريةً . . في وجهها سَفْعَةً» (٤) ، فقال : «**استرقوا لها فإن بها النظرة**» (٥) .

٢- أمر العائن بالاغتسال :

بعد التأكد من أنَّه صنع ذلك على النحو الذي ذُكر آنفاً ، ثم صبّ فضل هذا الماء على المعيون ، لاسيَّما مواضع الضعف منه .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم : كتاب السلام : باب الطب والمرض والرقى ٤/ ١٧١٨- ١٧١٩ رقم ٢١٨٦/ ٤٠ والترمذي : كتاب الجنائز : باب ما جاء في التعوذ للمريض ٣/ ٣٠٣ رقم ٩٧٢ ، وعقب عليه بقوله : «حديث حسن صحيح» ، وابن ماجه : كتاب الطب : باب ما عَوَّذ به النبي ﷺ وما عُوِّذ به ٢/ ١١٦٤ رقم ٣٥٢٣ كلهم من حديث أبي سعيد مرفوعاً به .

(٢) الحديث أخرجه البخاري : كتاب الطب : باب الرُّقى بالقرآن والمعوِّذات ١٠/ ١٩٥ رقم ٥٧٣٥ (فتح الباري) من حديث معمر عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، مرفوعاً بهذا اللفظ ، وفي آخره : قال معمر : «فسألت الزهري : كيف ينفث؟ قال : كان ينفثُ على يديه ، ثم يمسح بهما وجه» .

(٣) الحديث أخرجه البخاريُّ : كتاب الطب : باب رقية العين ١٠/ ١٩٩ رقم ٥٧٣٨ من حديث عائشة مرفوعاً بهذا اللفظ (فتح الباري» .

(٤) السفعة : بفتح المهملة ، ويجوز ضمها ، وسكون الفاء بعدها عين مهملة - سواد في الوجه ، ومنه سفعة الفرس : سواد ناصيته ، وقيل : حمرة يعلوها سواد ، وقيل : صفرة ، وقيل : سواد مع لون آخر ، قال ابن حجر في : فتح الباري ١٠/ ٢٠٢ : «وكلها متقاربة ، وحاصلها : أن بوجهها موضعاً على غير لونه الأصلي ، وكأن الاختلاف بحسب اللون الأصلي ، فإن كان أحمر فالسفعة سواد صرف ، وإن كان أبيض فالسفعة صفرة ، وإن كان أسمر فالسفعة حمرة ، يعلوها سواد» .

(٥) الحديث أخرجه البخاري : كتاب الطب : باب رقية العين ١٠/ ٢٠١ رقم ٥٧٣٩ (فتح الباري) من حديث محمد بن الوليد الزبيدي ، عن الزهري ، عن عروة بن الزبير ، عن زينب بنت أبي سلمة ، عن أم سلمة مرفوعاً بهذا اللفظ ، وعقّب عليه البخاري بقوله : «وقال عقيل عن الزهري ، أخبرني عروة عن النبي ﷺ ، تابعه عبدالله بن سالم عن الزبيدي» .

فقد تقدم حديث أبي أمامة سهل بن حنيف : أن أباه حدثه أن النبي ﷺ خرج ، وساروا معه نحو ماء ، حتى إذا كانوا بشعب الخرار من الجحفة اغتسل سهل بن حنيف - وكان أبيض حسن الجسم ، والجلد - فنظر إليه عامر بن ربيعة ، فقال : ما رأيت كاليوم ، ولا جلد مُخبَّأة ، فلبط - أي صرع وزناً ومعنى - سهل ، فأتى رسول الله ﷺ فقال : «**هل تتهمون به من أحد؟**» قالوا : عامر بن ربيعة ، فدعا عامراً فتغيَّظ عليه ، فقال : «**علام يقتل أحدكم أخاه؟ هلا إذا رأيت ما يعجبك بركت، ثم قال : اغتسل له ، فغسل وجهه ، ويديه ، ومرفقيه ، وركبتيه ، وأطراف رجليه ، وداخلة إزارة في قدح ، ثم يصب ذلك الماء عليه رجل من خلفه ، على رأسه وظهره ، ثم يكفأ القدح ، ففعل به ذلك ، فراح سهل مع الناس ليس به بأس**» [(١)] .

يقول ابن القيِّم :

«هذه الكيفية لا ينتفع بها مَنْ أنكرها ، ولا مَنْ سخر منها ، ولا مَنْ شكَّ فيها أو فعلها مجرِّباً غير معتقد ، وإذا كان في الطبيعة خواص لا يعرف الأطباء عللها ، بل هي عندهم خارجة عن القياس ، وإنما تفعل بالخاصية ، فما الذي تنكر جهلتهم من الخواص الشرعية؟ هذا مع أن في المعالجة بالاغتسال مناسبة لا تأباها العقول الصحيحة ، فهذا ترياق سُمِّ الحيَّة يوخذ من لحمها ، وهذا علاج النفس الغضبية توضع اليد على بدن الغضبان فتسكن ، فكأنَّ أثر تلك العين كشعلة نار وقعتْ على جسد ، ففي الاغتسال إطفاء لتلك الشعلة ، ثم لَمَّا كانت هذه الكيفية الخبيثة تظهر في المواضع الرقيقة من الجسد لشدة نفوذها فيها ، ولا شيء أرقَّ من المغابن ، فكان في غسلها إبطال لعملها ، ولا سيَّما أن للأرواح الشيطانية في تلك المواضع اختصاصاً ، وفيه - أيضاً - وصول أثر الغُسل إلى

---

(١) الحديث أخرجه أحمد ٣/ ٤٨٦ -٤٨٧ ، وابن ماجه : كتاب الطب : باب العين ٢/ ١١٦٠ رقم ٣٥٠٩ كلاهما من حديث سهل ، واللفظ لأحمد .

القلب من أرقِّ المواضع ، وأسرعها نفاذاً ، فتنطفىء تلك التي أثارتها العين بهذا الماء» (١) .

وقال ابن حجر :

«هذا الغسل ينفع بعد استحكام النظرة ، فأمَّا عند الإصابة وقبل الاستحكام فقد أرشد الشارع إلى ما يدفعه بقوله في قصة سهل بن حنيف المذكورة كما مضى : «ألا بركت عليه» ، وفي رواية ابن ماجه «فليدع بالبركة» (٢) .

(١) انظر : بذائع الفوائد لابن القيِّم ٢/ ٢٤٥ .

(٢) انظر : فتح الباري ١٠/ ٢١٥ .

الخاتمة

لقد أسفرت هذه الدراسة عن عدِّة نتائج هي :

١- أن الحسد والعين بينهما عموم وخصوص وجهي ، بمعنى أن الحسد أعم من وجه ، وأخص من وجه آخر ، وكذلك العين ، فمن حيث السبب أو الباعث على الحسد والعين يتلقيان فيما كان سببه أو باعثه : البغض ، أوالكراهية للنعمة تكون عند الغير وإرادة زوالها عنه ، وتنفرد العين فيما كان سببه الإعجاب والاستحسان ، ومن حيث السعي في إزالة النعمة عن الغير ، يلتقيان فيما كانت وسيلته الرؤية ، أو التوجه بالروح ، أو الوهم والتخيل ، وينفرد الحسد فيما كانت وسيلته غير ذلك ، من الاتصال ، والملامسة ، أوالنميمة ، أو الأدعية ، والرُّقي ، والتَعَّوذات .

٢- أنَّ الحسد والعين ثابتان بدلالة النقل والعقل . والتأثير إنما يكون بإذن من الله - عزَّ وجَّل - الأمر الذي يقتضي عدم الخوف من أحد إلا من الله وحده ، ويقتضي ـ كذلك ـ مزيداً من التملق لله ، حتى يحمي من كيد الحساد ، والعيَّانين .

٣- أنَّ الحسد منه ما هو مذموم ، ومنه ما هو محمود ، حسب حال المحسود ، والحاسد ، وأنه لا عقاب على مَنْ كان حسده في قلبه ، ولم يسع لإبرازه إلى عالم الوجود .

٤- أن الحسد لا ينشأ من فراغ ، وإنما له أسبابه وبواعثه الذاتية والغيرية ، كما أن له آثاره الفردية والاجتماعية ، والتي تتعدى الدنيا إلى الآخرة .

٥- أنه لا يصح المبادرة باتهام أحد بأنه حاسد أو عاين ، وإلا كانت الشكوك ، وفَقْدُ الثقة بين الناس ، وبالتالي تكون الفرقة والقطيعة ، الأمر الذي يفتح الباب في وجه الأعداء ، فيسلَّطوا على الإسلام وأهله ، وإنما لابد من الدليل

اليقيني القطعي ، وذلك أمر بعيد المنال .

٦- أن للوقاية من الحسد ، بل العلاج : أساليب ، ووسائل كثيرة ، بعضها جاءت به السُّنة وحدها ، وبعضها جاء بالكتاب والسنة ، وبعضها مستقى من الواقع مادام لا يتصادم مع الكتاب والسنة .

وبعد . . . فإذا كان من توصيات ومقترحات في هذا المجال ، فيمكن إجمالها في الآتي :

١- عمل دراسات موضوعية مستقاة من الكتاب والسنة حول الأمور المنافية للعقيدة من : «التشاؤم» و«السِّحر» و«الكهانة» ونحوها ، وتقوم على : التعريف ، وموقف الشارع ، والتأثير ، والآثار ، والأسباب ، والوقاية ، بل العلاج ، كي تنطلق الأمة ـ أفراداً وجماعات ـ لأداء واجبها متخطِّيةً العقبات ، والمعوِّقات .

٢- عمل دراسات حول الأحاديث المُشْكلة للتوفيق بينها : إما بالجمع ، وإما بالترجيح ، من أجل سد الباب في وجه الطَاعنين والمشككين ، مثل : «مُشكل أحاديث الرُّقى» ، «مُشكل أحاديث الفتن» ، «مُشكل أحاديث الاحتكار والتسعير» ونحوها .

هذا ، والله نسأل أن يتقبَّل منَّا هذا العمل بقبول حسن ، إنَّه قريب سميع الدعاء ، والحمد لله رب العالمين .

جريدة المراجع

م	الكتاب	المؤلف	الناشر
١	إحياء علوم الدين	أبو حامد الغزالي ت ٥٠٥ هـ	محمد صبيح - القاهرة بدون تاريخ
٢	أدب الدنيا والدين	أبو الحسن الماوردي ت ٤٥٠هـ	عيسى الحلبي - القاهرة بدون تاريخ
٣	الإصابة في تمييز الصحابة	أحمد بن علي المعروف بابن حجر العسقلاني ت٨٥٢ هـ	دار الكتاب العربي - بيروت - بدون تاريخ
٤	بدائع التفسير	الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية ت ٧٥١ هـ	دار ابن الجوزي - السعودية - الأولى - ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م
٥	بدائع الفوائد	الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية ت ٧٥١ هـ	دار الفكر - بيروت - بدون تاريخ
٦	تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف ، تحقيق عبدالصمد شرف الدين	أبو الحجاج يوسف بن عبدالرحمن المعروف بالمزّي ت٧٤٢هـ	نشر الدار القيمة بالهند الثانية ١٤٠٣ هـ١٩٨٣ م
٧	تسهيل النظر ، وتعجيل الظفر في أخلاق الملك ، وسياسة الملك	أبو الحسن الماوردي ت ٤٥٠هـ	دار النهضة العربية بيروت - الأولى - ١٤١٠ هـ - ١٩٨١ م
٨	التعريفات	الشريف بن علي المعروف بالجرجاني	دار الفكر - بيروت - بدون تاريخ

٩	تفسير القرآن الكريم	أبو الفداء إسماعيل بن عمر المعروف بابن كثير القرشي ت ٧٧٤ هـ	دار إحياء التراث العربي - بيروت - بدون تاريخ
١٠	تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين	أبو الليث السمرقندي	دار الفكر - بيروت - بدون تاريخ
١١	روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني	شهاب الدين السيد محمود المعروف بالآلوسي ت ١٢٧٠ هـ	دار الفكر - بيروت - ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م
١٢	روضة الطالبين	أبو زكريا محيي الدين المعروف بالنووي ت ٦٧٦ هـ	مكتب المطبوعات الإسلامية حلب - بدون تاريخ
١٣	(أ) (السنن الكبرى) (ب) السنن (الصغرى)	أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب المعروف بالنسائي ت ٣٠٣ هـ أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب المعروف بالنسائي ت ٣٠٣ هـ	دار الكتب العلمية - بيروت - الأولى ١٤١١هـ ١٩٩١م مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب - الثالثة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨م
١٤	سنن أبي داود بتحقيق : عزت الدعاس ، وعادل السيد	أبو داود سليمان بن الأشعث السجتاني ت٢٧٥ هـ	دار الحديث - بيروت - الأولى - ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩م
١٥	السنن	أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن المعروف بالدرامي ت ٢٥٥هـ	دار إحياء السنة النبوية- بيروت - بدون تاريخ
١٦	سنن الترمذي	أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة المعروف بالترمذي ت٢٧٩هـ	مصطفى الحلبي - القاهرة- الأولى ١٣٥٦هـ ١٩٣٧م

١٧	سنن ابن ماجة بتحقيق الشيخ محمد فؤاد عبدالباقي	أبو عبدالله محمد بن يزيد المعروف بابن ماجه القزويني ت٢٧٥هـ	عيسى الحلبي - القاهرة - ١٣٧٣ - ١٩٥٤م
١٨	السيرة النبوية	أبو الفداء إسماعيل بن عمرالمعروف بابن كثير ت ٧٧٤ هـ	دارالفكر - بيروت
١٩	الصحاح في اللغة والعلوم	نديم وأسامة المرعشليان	دار الحضارة العربية - بيروت - الأولى ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥
٢٠	صحيح البخاري	أبو عبدالله محمد بن إسماعيل المعروف بالبخاري ت ٢٥٦هـ	الشعب - القاهرة ١٣٧٨هـ
٢١	صحيح مسلم بتحقيق الشيخ محمد فؤاد عبدالباقي	أبو الحسين مسلم بن الحجاج ت ٢٦١ هـ	عيسى الحلبي - القاهرة - الأولى ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥م
٢٢	فتح الباري شرح صحيح البخاري	أبو الفضل : أحمد بن علي المعروف بابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ	رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية - بدون تاريخ
٢٣	فتح البيان في مقاصد القرآن	أبو الطيب صديق بن حسن المعروف بالقنوجي البخاري ت ١٣٠٧ هـ	دار إحياء التراث العربي - قطر - ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩م
٢٤	فقه الزكاة	الدكتور : يوسف القرضاوي	دار الفكر - بيروت - بدون تاريخ

٢٥	فيض القدير شرح الجامع الصغير	العلامة محمد المعروف بعبد الرؤوف المناوي	دار المعرفة – بيروت – الثانية – ١٣٩١ – ١٩٧٢م
٢٦	القاموس المحيط	مجد الدين محمد بن يعقوب المعروف بالفيروز آبادي ت ٨١٧ هـ	دار إحياء التراث العربي – بيروت – الأولى ١٤١٢ هـ ١٩٩١ م
٢٧	الكليات	أيوب بن موسى المعروف بأبي البقاء الكفوي ت ١٠٩٤ هـ	الرسالة – بيروت – الثانية – ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م
٢٨	لسان العرب	محمد بن مكرّم المعروف بابن منظور – ت ٧١١ هـ	دار صادر – بيروت – بدون تاريخ
٢٩	مجموع الفتاوى الكبرى	أحمد بن عبدالحليم المعرف بابن تيمية ت ٧٢٨ هـ	البحوث والإفتاء بالسعودية – بدون تاريخ
٣٠	المحرر الوجيز	أبو محمد المعروف بابن عطية الأندلسي	دار إحياء التراث الإسلامي – قطر – بدون تاريخ
٣١	مختار الصحاح	أبو بكر المعروف بالرازي	دارالفكر – بيروت – بدون تاريخ
٣٢	المسند	أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل ت ٢٤١ هـ	بيروت – بدون تاريخ
٣٣	مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة – تحقيق محمد المنتقى الكشناوي	الحافظ أحمد بن أبي بكر المعروف بشهاب الدين البوصيري ت ٨٤٠ هـ	دار العربية – بيروت – الأولى ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣م

٣٤	المعجم الوسيط في اللغة	د . إبراهيم أنيس وآخرون	نشر مجمع اللغة العربية - القاهرة - الثانية ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م
٣٥	المعلم بفوائد مسلم	أبو عبدالله محمد بن علي المعروف بالمازري ت ٥٣٦ هـ	المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات - بيت الحكمة - تونس - الأولى ١٩٩١ م
٣٦	المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم	أبو العباس أحمد بن عمر المعروف بالقرطبي ت ٦٥٦ هـ	دار ابن كثير - دمشق ودار الكلم الطيب - بيروت الأولى ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م
٣٧	المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج	أبو زكريا يحيى بن شرف المعروف بالنووي ت ٦٧٦ هـ	دار الشعب - القاهرة - بدون تاريخ
٣٨	المنهاج في شعب الإيمان	أبو عبدالله الحسين بن حسين المعروف بالحليمي ت ٤٠٦ هـ	دار الفكر - بيروت - بدون تاريخ
٣٩	النكت والعيون المعروف بتفسير الماوردي	أبو الحسن علي بن حبيب المعروف بالماوردي ت ٤٥٠ هـ	وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت - الأولى ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م